الفصل الثالث

البذل والإنفاق في الإسلام

ويشتمل على تمهيد والمباحث الآتية:

١_ البذل والإنفاق في القرآن الكريم.

٢_ الجود والكرم في السنة النبوية.

٣_ الجود والكرم عند الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم .

٤_ ما جاء به الرسول ﷺ والصحابة والتابعون والأولياء والصالحون .

تمهيد

الجود والكرم قيمة عليا في الإسلام

إن قول الله عز وجل يعتبر هو الأساس والمصدر الذي اعتمدناه في دخولنا إلى هذا الموضوع .فقد أشارت الآية القرآنية ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾[آل عمران: ١٣٤].

إن الإنفاق له دلائله المعروفة على الفرد المنفق وعلى المجتمع أيضاً. وأما بالنسبة لآثارهِ على الفرد المنفق فإنه يطهره من أمراض البخل والشح والطمع ويجعله بذلك إنساناً يحس بحاجة الآخرين، وأن الله تفضل عليه بأن جعل هذا المال في يده، فلربما كان أخوه محتاجاً إليه وكان عاجزاً عن الكسب والآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[النمل: ٤٠] .

أي هو غني عن العباد وعبادتهم، كريم أي كريم في نفسه وإن لم يعبده أحد فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد وعظمة الله سبحانه وتعالى ليست مقتصرة على أحد، هذه الآيات وما جاء في الآيات الأخرى وما جسده الرسول الكريم في صفاته وسلوكه من قول وفعل، فقد هذه الفضيلة أبو السجية بمكانه كبيره في الإسلام على الرغم من أنها من الفضائل التي كانت عند العرب قبل الإسلام لكن الدين الإسلامي أخذ بهذه الفضيلة وعمقها ورسخها وسنها كما جاء من خلال الآيات القرآنيه وأقوال وأفعال الرسول وأصحابه الكرام حيث تروي لنا الأحاديث والقصص والأقوال المأثورة عن الخلفاء الراشدين وكرمهم وجودهم وجعل كل أموالهم وأملاكهم في خدمه نشر الدعوة الإسلامية والقرآن الكريم يدعو الإنسان المسلم المؤمن إلى أن يكون منفقا في أمواله لذا فان أخلاق المسلمين كانت عالية جداً وإن الدعوة إلى الأخلاق تعد هي الأساس في بناء المجتمع السليم الصحيح.

قال الشاعر :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وإذ يقول القول المشهور (الأخلاق أساس كل مجتمع) ومن أجل ذلك فإن كل الرسالات السماوية وجميع الأنبياء كانوا يدعون إلى التحلي بالأخلاق الكريمة والى الإنفاق ومساعدة المحتاجين ابتغاء مرضاة الله وجاء القرآن خاتمة الرسالات السماوية مشدداً على ذلك متمسكاً بها لأنها تحقق الفوز العظيم والنعيم المقيم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء:٨٨-٨٩].

المبحث الأول

الجود والكرم في القرآن الكريم

يعد القرآن الكريم دستور المسلمين الذي نزل على الرسول الكريم محمد ﷺ، وقد وردت فيه آيات تتحدث عن منزلة الإنسان المسلم المؤمن الواعي والمتمسك بالأخلاق الكريمة .

قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٧٧].

إن التفسير[1] لهذه الآية أن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولاً بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة أثر ذلك في نفوس قسم من أهل الكتاب وبعض المسلمين فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك حيث أن المطلوب إنما هو طاعة الله عز وجل وتطبيق أوامره والتوجه مثلما يريد واتباع الشرع فهذا هو البر والتقوى و الإيمان الكامل وليس في قصد التوجه إلى جهة ممن المشرق والمغرب بر ولا طاعة إن لم يكن على أمر الله وشرعه، حيث كانت اليهود تقبل قبل المغرب والنصارى تقبل قبل المشرق فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾... ولكن البر هو ما ثبت في القلوب من طاعة الله عز وجل من الفرائض وأنواع البر الأخرى من توحيد الله والإيمان باليوم الآخر والملائكة والكتب التي أنزلها الله تعالى على النبيين من أول نبي إلى محمد ﷺ خاتم الأنبياء ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي أخرجه وهو محب له راغب فيه كما قال في ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف . وقد ثبت في الصحيحين

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ـ ج١ ص٢١٣.

عن أبي هريرة مرفوعاً «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر»[1] وكما روى الحاكم في مستدركة[2] عن ابن مسعود عن الرسول ﷺ وهو رغم حب الإنسان إلى المال والحاجة إليه لكن الشرع السماوي يأمر الإنسان أن يتصدق الرجل المؤمن على أقربائه المحتاجين واليتامى الذين لا كاسب لهم وهم صغار ضعفاء دون البلوغ والقدرة على التكسب والمساكين الذين ليس لديهم ما يكفيهم في قوتهم وملبسهم ومسكنهم وابن السبيل وهو المسافر المجتاز الذي نفذت نفقته فيعطى ما يوصله إلى بلده والسائلين وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات. عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها قال رسول الله ﷺ «للسائل حق وإن جاء على فرس»[3] وفي الرقاب وهم المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدون به مكاتبتهم.

قال الله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢١٥].

ومعنى الآية يسأل المسلمون النبي محمد ﷺ كيف ينفقون؟ كما قال ابن عباس ومجاهد فبين لهم تعالى ذلك فقال: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ أي اصرفوها في هذه الوجوه الوالدين والإخوه والأدنى ثم الأدنى واليتامى والمساكين وابن السبيل[4].

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦١].

وهذه[5] الآية مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته أي الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال سعيد بن جبير: يعني في طاعة الله وقال مكحول:

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٩) ومسلم (١٠٣٢).

(٢) ٢/٢٩٩.

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٦٥).

(٤) تفسير القرآن ـ لابن كثير ـ ج١ ص٢٥٩.

(٥) تفسير القرآن ـ لابن كثير ـ ج١ ص٣٢٤

يعني به الإنفاق في الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس: الجهاد والحج يضاعف الدرهم فيها إلى سبعمائة ضعف. ولهذا قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة فإن هذا فيه إشارة إلى إن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة .

حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن العسكري البزار أخبرنا الحسن بن علي بن شبيب أخبرنا أبي عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر لما نزلت هذه الآية ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

قال النبي ﷺ: «رب زد أمتي» قال فأنزل الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ قال: «رب زد أمتي» قال فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾.

وقد رواه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه[1] عن حاجب بن أركين عن أبي عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز المقري عن أبي إسماعيل المؤدب عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر فذكرة وقوله هاهنا ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ أي بحسب إخلاصه في عمله ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ أي فضله واسع كثيراً أكثر من خلقه، عليم بمن يستحق ومن لا يستحق سبحانه وبحمده.

قال تعالى :

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

في قوله تعالى[2] آنفاً يحث تعالى عباده على الإنفاق في سبيل الله وقد كرر تعالى هذه الآية في كتابه العزيز في غير موضع، وفي حديث النزول أنه يقول تعالى: «من

---

(١) صحيح ابن حبان (٤٦٤٨).

(٢) تفسير القرآن ـ لابن كثير ـ ج١ ص ٣٠٦ .

يقرض غير عديم ولا ظلوم» وقد قال ابن أبي حاتم[1]: حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت الآية ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله إن الله عز وجل ليريد منا القرض ؟ قال: (نعم يا أبا الدحداح) قال: أرني يدك يا رسول الله، قال : فناوله يده، فقال : فإني قد أقرضت ربي عز وجل حائطي، قال: وحائط له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها، قال فجاء أبو الدحداح فناداها ياأم الدحداح قالت : لبيك، قال: أخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل.

وقد رواه ابن مردويه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر ﷺ مرفوعاً بنحوه وقوله (قرضا حسنا) روي عن عمر ﷺ وغيره من السلف هو النفقة في سبيل الله وقيل هو النفقة على العيال وقيل هو التسبيح والتقديس له.

وقوله: «فيضاعفه له أضعافا كثيرة» كما قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

حدثنا[2] يزيد أخبرنا مبارك بن فضلة عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي، قال : أتيت أبا هريرة ﷺ فقلت له إنه بلغني أنك تقول إن الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة، قال : وما عجبك من ذلك لقد سمعته من النبي ﷺ يقول (إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة).

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعه حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن بسام حدثنا أبو إسماعيل المؤدب عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر قال: لما نزلت ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ إلى آخرها فقال رسول الله ﷺ: «رب زد أمتي» فنزلت ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ قال: «رب زد أمتي» فنزلت ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٣٠).

(٢) تفسير القرآن ـ لأبن كثير ـ ج١ ص٣٠٧

وروى ابن أبي حاتم[1] أيضاً عن كعب الأحبار أنه جاء رجل فقال: إني سمعت رجلاً يقول من قرأ «قل هو الله أحد» مرة واحدة بنى الله له عشرة آلاف ألف غرفة من در وياقوت في الجنة أفأصدّق ذلك ؟ قال : نعم أو عجبت من ذلك؟ قال : نعم وعشرين ألف ألف وثلاثين ألف ألف وما يحصي ذلك إلا الله ثم قرأ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾فالكثير من الله لا يحصى وقوله ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ أي أنفقوا ولا تبالوا فالله هو الرزاق يضيق على من يشاء من عباده في الرزق ويوسعه على آخرين، له الحكمة البالغة في ذلك ﴿واليه ترجعون﴾ أي يوم القيامة .

وقال تعالى :

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٦٢-٢٦٤].

هنا يمدح الله تعالى ويثني على الذين ينفقون في سبيله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات مناً على من أعطوه لا قولاً ولا فعلاً (ولا أذى) أي لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهاً يحيطون به ما سلف من الإحسان ثم وعدهم الله تعالى الجزاء الأوفى فلا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة ولا يحزنون.

(قول معروف): يعني هو الكلمة الطيبة والدعاء للمسلم من عفو ومغفرة عن ظلم قولي أو فعلي (خير من صدقة يتبعها أذى) أي أن المسلم يصفح عن أخيه ويغفر له ويتسامح معه بالقول الطيب والكلام الحسن أفضل من الصدقة التي يعقبها مكروه يلحق بالمتصدق عليه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ لأن المرائي بإنفاقه (الذي يتبع نفقته منا وأذى) كمثل الصخر الأملس وهو الصفا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٣٧).

الذي عليه قليل من التراب فإن أصابه وابل من المطر الشديد أزاح عنه التراب وأبان عن حقيقته وهو الحجر الملس أو الصفا الذي لا فائدة منه[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[البقرة: ٢٦٥].

وهذا مثل المؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله عنهم في ذلك (وتثبيتا من أنفسهم) أي تصديقاً ويقيناً وكذا قال قتادة وأبو صالح وابن زيد واختاره ابن جرير وقال مجاهد والحسن: أي يتثبتون أين يضعون صدقاتهم، وقوله ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ﴾ أي كمثل بستان بربوة وهو عند الجمهور المكان المرتفع من الأرض وزاد ابن عباس والضحاك وتجري فيه الأنهار.

قال ابن جرير رحمه الله: وفي الربوة ثلاث لغات بضم الراء في قراءة أهل الحجاز والمدينة والعراق، وفتحها في قراءة بعض أهل الشام والكوفة، ويقال إنها لغة تميم وكسر الراء يقال إنها قراءة ابن عباس.

وقوله تعالى

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ وهو المطر الشديد كما تقدم ﴿فآتت أُكلها﴾ أي أعطت ثمرتها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي مقارنة بالنسبة إلى غيرها من الجنان (فإن لم يصبها وابل فطل) قال الضحاك: هو الرذاذ اللين من المطر. أي إن هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبدا لأنها إن لم يصبها وابل فطل وأياما كان فهو كفايتها وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً بل يتقبله الله ويكثره وينميه كل عامل بحسبه ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي لا يخفى عليه من أعمال العباد شيء.

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص٣٢٥.

حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦٧-٢٦٨].

إن[1] الله سبحانه وتعالى يأمر عباده بالإنفاق أي التصدق من طيبات ما رزقهم الله من الأموال والذهب والفضة والثمار والزروع التي أنبتها الله لهم من الأرض أي من أطيب الأموال وأجودها نهاهم عن التصدق برذالة الأموال وأدناها وأخبثها لأن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ﴾ لأن الله تعالى لا يقبل منكم شيئاً تكرهونه وتجعلونه صدقة. وأنفقوا وتصدقوا بالأموال الحلال ولا تتصدقوا بالأموال التي أصلها حرام.

إن الآية آنفاً نزلت في الأنصار حيث كانت أيام جني الثمر وقطعه لأن بعض الأنصار كان ينفق ويتصدق من التمر الرديء وهو (الحشف) على فقراء المسلمين أو لمن هو في المسجد، وهذا الإنفاق أو التصدق لا يرضي الله تعالى فأنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ قال ابن حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن السدي عن أبي مالك عن البراء ﷺ أن هذه الآية نزلت فينا، وكنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه بالمسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع فضرب القنو بعصاه فيسقط منه البسر والتمر فيأكل وكان أُناس ممن لا يرغبون بالخير يأتي بالقنو الحشف والشيص قد انكسر ويعلقه بالمسجد. فنزلت الآية تنهى عن التصدق برذالة المال ودنيئه وهو خبيثه لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

وقوله تعالى:

﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾[2] يقول لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه. قال: فذلك قوله ﴿إِلَّآ أَن

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص٣٢٧.
(٢) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص٣٢٨ ـ ص٣٢٩.

تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ فكيف ترضون لي مالا ترضون لأنفسكم وحقي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه .

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها فهو غني عنها . وما ذاك إلا أن يساوي الغني الفقير كقوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ وهو غني عن جميع خلقه وجميع خلقه فقراء وهو واسع الفضل لا ينفد ما لديه، فمن تصدق بصدقة من كسب طيب فليعلم أن الله غني واسع العطاء كريم جواد وسيجزيه بها ويضاعفها له أضعافاً كثيرة، من يقرض غير عديم ولا ظلوم وهو الحميد أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ قال ابن أبي حاتم[1]: حدثنا أبو زرعة حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان لمة بابن وآدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان» .

ثم قرأ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ ومعنى قوله ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ أي يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي مع نهيهِ إياكم عن الإنفاق خشيه الإملاق يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الأخلاق قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ أي في مقابلة ما أمركم به الشيطان بالفحشاء (وفضلا) أي في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٨١٠).

وقوله تعالى :

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧٠-٢٧١].

يخبر[1] الله تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات والنفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده، وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره فقال: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ أي يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله ونقمته.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية .

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يا رب هل في خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال : نعم الحديد، قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال : نعم النار، قالت يا رب: فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال : نعم الماء، قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال: نعم الريح، قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله»[2].
وقوله ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ أي بدل الصدقات ولا سيما إذا كانت سراً يحصل لكم الخير في رفع الدرجات ويكفر عنكم السيئات وقد قرئ يكفر بالجزم عطفاً على محل جواب الشرط وهو قوله تعالى: ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ كقوله فأصدق وأكون وأكن وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي لا يخفى عليه من ذلك شيء وسيجزيكم عليه .

---

(١) تفسير القرآن لابن كثير ج١ ص٣٣٠ .
(٢) مسند أحمد (١٢٢٥٣).

قال تعالى :

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢-٢٧٤].

قال أبو عبد الرحمن النسائي[1] أنبأنا محمد بن عبد السلام بن عبد الرحيم أنبأنا الفريابي حدثنا سفيان عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ﴾ . . . الآية. وقال ابن أبي حاتم أنبأنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثني أحمد بن عبد الرحمن يعني الدشتكي حدثني أبي عن أبيه حدثنا أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بأن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام حتى نزلت هذه الآية ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ إلى آخرها فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين[2] .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ كقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ وقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ﴾ قال الحسن البصري: نفقة المؤمن لنفسه ولا ينفق المؤمن إذا أنفق إلا ابتغاء وجه الله . وقال عطاء الخراساني: يعني إذا أعطيت لوجه الله تعالى فلا عليك ما كان عمله وهذا معنى حسن، وحاصله أن المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله تعالى فقد وقع أجره على الله ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب أَلِبَرٍّ أو فاجرٍ أو مستحق أو غيره وهو مثاب على قصده، ومستند هذا تمام الآية ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

---

(١) السنن الكبرى (١١٠٥٢).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٥٣).

والحديث[1] المخرج في الصحيحين من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ (قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فأصبح الناس يتحدثون تصدق على زانية. فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن الليلة بصدقة فوضعها في يد غني فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على غني . قال اللهم لك الحمد على غني لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على سارق. فقال: اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق فأتى فقيل له: أما صدقتك فقد قبلت وأما الزانية فلعلها تستعفف بها عن زنا، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق يستعف بها عن سرقته)[2] .

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني المهاجرين الذين انقطعوا إلى الله وإلى رسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني السفر للتسبب في طلب المعاش والضرب في الأرض هو السفر. وقوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ أي الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم . وقوله: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي بما يظهر لذوي الألباب من صفاتهم كما قال الله تعالى ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أي لا يلحون في المسألة ويكلفون الناس مالا يحتاجون إليه فإن من سأل وله ما يغنيه عن المسألة فقد ألحف في المسألة .

قال رسول الله ﷺ : «من سأل وله أوقية أو عَدْلُها فقد سأل إلحافا »[3] .

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. هذا[4] مدح من الله تعالى للمنفقين في

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص٣٣١ .
(٢) أخرجه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٤١١).
(٤) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص٣٣٣.

سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل ونهار، والأحوال من سر وجهار، حتى أن النفقة على الأهل تدخل في ذلك، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن شعيب قال: سمعت سعيد بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن عريب المليكي عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في أصحاب الخيل[1].

وقال حنش الصنعاني: عن ابن شهاب عن ابن عباس قال: هم الذين يعلفون الخيل في سبيل الله. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا يحيى بن يمان عن عبد الوهاب بن مجاهد عن ابن جبير عن أبيه قال: كان لعلي أربعة دراهم فأنفق درهما ليلا وأنفق درهماً نهاراً ودرهماً سراً ودرهماً علانية فنزلت الآية ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ وكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف، لكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

قال تعالى:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٨٠-٢٨١].

يأمر الله تعالى[2] بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاءً فقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه وقت الدين إما أن تقضي وإما أن تربي، ثم يندب إلى الوضع عنه ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي وإن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين، وقد وردت الأحاديث عن أبي أمامة أسعد بن زرارة. قال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن شعيب المرجاني حدثنا يحيى بن حكيم

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٨٠).

(٢) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص٣٣٨.

المقوم حدثنا محمد بن بكر البرساني حدثنا عبدالله بن أبي زياد حدثني عاصم بن عبيد الله عن أبي أمامة أسعد بن زرارة قال: قال رسول الله ﷺ «من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا له فلييسر على معسر أو ليضع عنه»[1].

وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري قال أحمد: حدثنا حماد بن سلمه أخبرنا أبو جعفر الخطمي عن محمد بن كعب القرظي أن أبا قتادة كان له دين على رجل وكان يأتيه يتقاضاه فيختبئ منه فجاء ذات يوم فخرج صبي فسأله عنه فقال : نعم هو في البيت يأكل خَزيرة فناداه فقال يا فلان اخرج فقد أخبرت أنك هاهنا فخرج إليه فقال : ما يغيبك عني ؟ فقال : إني معسر وليس عندي شيء . قال : آلله إنك معسر؟ قال : نعم، فبكى أبو قتادة ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة»[2].

وعن حذيفة بن اليمان قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا الأخنس أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ: «أتى الله بعبد من عبيده يوم القيامة قال: ماذا عملت لي في الدنيا ؟ فقال : ما عملت لك يا رب مثقال ذرة في الدنيا أرجوك بها- قالها ثلاث مرات - قال العبد عند آخرها : يا رب إنك كنت أعطيتني فضل مال وكنت رجلاً أبايع الناس وكان من خُلقي الجواز فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر . قال : فيقول الله عز وجل أنا أحقُّ من ييسر ادخل الجنة» . وقد أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه من طرق ربعي بن حراش[3] .

---

(١) المعجم الكبير (٨٩٩).

(٢) مسند أحمد (٢٢٥٥٩)، وصحيح مسلم (١٥٦٣) بنحوه.

(٣) صحيح البخاري (٢٠٧٧) وصحيح مسلم (١٥٦٠) وسنن ابن ماجه (٢٤٢٠) بنحوه.

عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي قال حدثني أبو اليسر أن رسول الله قال: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله»[1] وقد أخرجه مسلم في صحيحه[2] من وجه آخر من حديث عباد بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: خرجت وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا فكان أول من لقينا أبو اليسر صاحب رسول الله ﷺ ومعه غلام له معه ضمامة من صحف وعلى أبي اليسر بردة ومعافري وعلى غلامه بردة ومعافري فقال له أبي: يا عم إني أرى على وجهك سفعة من غضب قال: أجل كان لي على فلان بن فلان الرامي مال فأتيت أهله فسلمت فقلت: أثم هو؟ قالوا: لا، فخرج عليَّ ابن له جفر فقلت: أين أبوك؟ فقال: سمع صوتك فدخل أريكة أمي، فقلت: اخرج إليَّ فقد علمت أين أنت، فخرج فقلت: ما حملك على أن اختبأت مني؟ قال أنا والله أحدثك ولا أكذبك خشيت والله أن أحدثك فأكذبك أو أعدك فأخلفك وكنت صاحب رسول الله ﷺ وكنتُ والله معسراً. قال: قلت الله! قال: قلت الله؟ الله ثم قال: فأتى بصحيفته فمحاها بيده ثم قال: فإن وجدت قضاءً فأقضني وإلا فأنت في حل فأشهد أبصر عيناي هاتان ـ ووضع أصبعيه على عينيه ـ وسمع أذناي هاتان ووعاه قلبي ـ وأشار إلى نياط قلبه ـ رسول الله ﷺ وهو يقول: «من أنظر معسراً أو وضعَ عنه أظلهُ الله في ظله يوم لا ظلَ إلا ظله»[3].

ثم قال الله تعالى[4] يعظ عباده ويذكرهم زوال الدنيا وفناء ما فيها من الأموال وغيرها، وإتيان الآخرة والرجوع إليه تعالى ومحاسبته تعالى خلقه على ما عملوا ومجازاته إياهم بما كسبوا من خير وشر ويحذرهم عقوبته فقال: ﴿وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

---

(١) مسند أحمد (١٥٥٢١).

(٢) صحيح مسلم (٣٠٠٦).

(٣) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص ٣٤٠.

(٤) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص٣٤١.

وقد روي أن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن العظيم فقال ابن لهيعة : حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال آخر ما نزل من القرآن كله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ ... وعاش النبي بعد نزول هذه الآية تسع ليالٍ ثم توفيَ .

وروى الضحاك والعوفي عن ابن عباس وروى الثوري عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال آخر آية نزلت ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾... فكان بين نزولها وموت النبي ﷺ واحد وثلاثون يوماً قال الله تعالى :

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] .

(الصابرين)[1] أي في قيامهم بالطاعات وترك المحرمات . (والصادقين) فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة . (والقانتين) والقنوت الطاعة والخضوع . (والمنفقين) الذين ينفقون من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات وصلة الأرحام والقرابات وسد الخلات ومواساة ذوي الحاجة من المساكين والسائلين وابن السبيل . (والمستغفرين بالأسحار) وهذا يدل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران: ٣٠].

يخبر الله تعالى عباده أنه يوم القيامة تجد كل نفس ما فعلت من خير محضراً لها لكي تسر به وتفرح، إلا أن الكرم والجود والسخاء من أفعال الخير فلتبادر لها نفس المسلم .

وإذا فعلت الشر وكنزت الذهب والفضة والأموال ولم تنفق منها سوف تعاقب عليه وتكون تلك وبالا عليك تكوى بها الوجوه والجباه .

قال تعالى :

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[آل عمران: ٩٢] .

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص٣٦١ .

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ [1] يعني الجنة أي لن يدخل العباد الجنة حتى ينفقوا مما يحبون في حياتهم من أموال وعقارات وأثمار وزروع وغيرها .

قال أبو طلحة : يا رسول الله إن الله يقول ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحبَّ أموالي إليَّ بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ : «بخ بخ ذاك مال رابح ذاك مال رابح» .

وقد سمعت، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين »، فقال أبو طلحة : افعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه [2] .

وقال تعالى :

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

إن هذه الجنة [3] التي وصفها الله عز وجل بعرض السماوات والأرض أعدت للطائعين الله وللذين ينفقون في الشدة والرخاء والمنشط والمكره والصحة والمرض وفي جميع الأحوال في السراء والضراء وفي الليل والنهار سرا وعلانية، فالإنفاق في مرضاة الله تعالى والإحسان إلى خلقه من أقربائهم وغيرهم بكل أنواع البر .

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ أي إذا ثار بهم الغيظ كظموه أي كتموه فلم يعرف أحد بهم والذين يعفون عمن أساء إليهم .

قال تعالى :

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا﴾ [النساء: ٨]. قال [4] سعيد بن جبير وقتادة : كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار

---

(١) تفسير القرآن لابن كثير ج١ ص٣٨٩ .
(٢) صحيح البخاري (٥٦١١)، وصحيح مسلم(٩٩٨).
(٣) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص٤١٣ .
(٤) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص٤٦٥ .

وكانوا لا يورثون النساء ولا الأطفال شيئاً، فأنزل الله الآية ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ . أي الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى يستوون في أصل الوراثة وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم بما يدلي به إلى الميت من قرابة أو زوجية أو ولاء فإنه لحمة كلحمة النسب. وروى ابن مردويه من طريق ابن هراسة عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : أتت أم كحة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن لي ابنتين قد مات أبوهما وليس لهما شيء فأنزل الله تعالى الآية ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ . وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ وقيل المراد إذا حضر قسمة الميراث ذوو القربى ممن ليس بوارث ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾ فليرضخ لهم من التركة نصيب، وإن ذلك كان واجباً في ابتداء الإسلام وقيل يستحب. واختلفوا هل هو منسوخ أم لا على قولين فقال البخاري[1] حدثنا أحمد بن حميد أخبرنا عبد الله الأشجعي عن سفيان عن الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قال هي محكمة وليست بمنسوخة .تابعه سعيد عن ابن عباس. وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: هي قائمة يعمل بها . وقال الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في هذه الآية قال : هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم وهكذا روي عن ابن مسعود وأبي موسى وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبي العالية والشعبي والحسن . وقال ابن سيرين وسعيد بن جبير ومكحول وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح والزهري ويحيى بن يعمر إنها واجبة، وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن إسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن ابن سيرين قال: ولي عبيدة وصية فأمر بشاة فذبحت فأطعم أصحاب هذه الآية. فقال: لولا هذه الآية لكان هذا من مالي. وقال مالك فيما يروى عنه في التفسير من جزء مجموع عن الزهري أن عروة أعطى من مال مصعب حين قسم ماله. وقال الزهري هي محكمة . وقال مالك عن عبد الكريم عن مجاهد قال: هي حق واجب ما طابت به الأنفس .

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٧٦).

قال تعالى :

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾[النساء: ٣٧-٣٩].

يقول[1] الله تعالى ذاماً الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به من بر الوالدين والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانهم من الأرقاء ولا يدفعون حق الله ويأمرون الناس بالبخل .

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ﴾ يقول الله تعالى وأي شيء يضرهم لو آمنوا بالله وسلكوا الطريق الحميدة وعدلوا عن الرياء إلى الإخلاص والإيمان بالله رجاء موعوده في الدار الآخرة لمن يحسن العمل وأنفقوا مما رزقهم الله في الوجوه التي يحبها الله ويرضاها وهو العليم بكل أعمال الإنسان الصالحة والفاسدة .

قال الله تعالى :

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

يخبر الله تعالى عن الفرق بين القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر وبين المؤمنين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم في سبيل نشر راية الإسلام وإعلاء كلمة الله، فهنا يستطيع المؤمن الجواد السخي أن يجاهد وينفق أمواله في سبيل الحق إذا لم يستطع الجهاد بنفسه لضرر ما .

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص٥٠٨ .

وقال تعالى :

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة قالت : قال رسول الله ﷺ «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ذكر الله عز وجل أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر» وهو ذكر الله تسبيحا وتحميدا وتوحيدا واستغفارا وغيرها من الكلام الذي يرطب لسان المؤمن وفمهِ بذكر الله والإصلاح بين الناس إذا فسدت العلاقة . وكذلك الإنفاق والتصدق على المحتاجين ابتغاء وجه الله . والنهي عن المنكر .

قال تعالى :

﴿۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٦٠].

الصدقات تعطى للفقراء أولاً لشدة حاجتهم وفاقتهم للمساعدة، وأما المساكين فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان» قالوا : فما المسكين يا رسول الله ؟ قال: « الذي لا يجد غني يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئاً»[1] وأما العاملون عليها فهم الجباة والسعاة يستحقون منها قسطا .

والمؤلفة قلوبهم هم حديثو العهد بالإسلام.

وفي الرقاب هم المكاتبون كما روي عن الحسن البصري ومقاتل ابن حيان وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز والنخعي والزهري .

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٩) و مسلم (١٠٣٩).

وأما الغارمون فهم أقسام فمنهم من تحمل حمالة أو ضمن ديناً فلزمه فأجحف بماله أو غرم في أداء دينه أو في معصية ثم تاب فهؤلاء يدفع إليهم .

قال تعالى :

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

هنا يذكر الله تعالى ذنب المنافقين ويبين ثناءه على المؤمنين وما لهم في الآخرة من حسن الحال ومآل النعمة التي أعدت لهم من الدرجات العلى في جنات الفردوس بسبب جهادهم في سبيل الله بالأموال التي أنفقوها ابتغاء مرضاة الله وجهادهم في سبيل إعلاء كلمة الله .

قال تعالى :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يأخذ من أموال المسلمين صدقة تطهرهم وتزكيهم حيث أن الأموال أدران وذنوب كما للنفس البشرية أدران وذنوب، وهذه الصدقات تزكي وتطهر الأموال والنفوس وعليه فإن الاستمرار في إعطاء الصدقات والإنفاق من الأموال يجعل النفس المسلمة وأموالها صالحة وزكية .

وقال تعالى :

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[التوبة: ١٢١] .

يقول[2] تعالى: ولا ينفق هؤلاء الغزاة في سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) أي قليلاً ولا كثيراً ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم جزاءً أوفى على أحسن ما يكون. وقد حصل لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من هذه الآية الكريمة حظ وافر ونصيب

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج٢ ص ٣٩٥ .

(٢) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص٤١٤ .

عظيم، وذلك لأنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة والأموال الجزيلة وذلك في تجهيز جيش العسرة حيث خطب رسول الله ﷺ فحث على تجهيز الجيش فقال عثمان عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها قال ثم حث فقال عثمان عليَّ مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها قال ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان بن عفان عليَّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها قال فرأيت رسول الله يحرك بيده هكذا كالمتعجب وقال «ما على عثمان ما عمل بعد هذا»[1] وقال حدثنا عبد الله بن شوذب عن عبد الله بن القاسم عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حتى جهز النبي ﷺ جيش العسرة فصبها في حجر النبي ﷺ فرأيت النبي يقلبها بيده ويقول «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم»[2] .

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

يخبر الله تعالى أنه لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح له الحسنى في الدار الآخرة كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ وقوله (وزيادة) هي تضعيف الثواب للأعمال الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك ويشمل ما يعطيهم الله في الجنات من القصور والحور والرضا عنهم وما أخفاه لهم من قرة أعين وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه ولا يستحقونها بعملهم بل بفضله ورحمته .

قال تعالى :

﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

---

(١) سنن الترمذي (٣٧٠٠).

(٢) مسند أحمد (٢٠٦٣٠).

هنا[1] يقول الله تعالى آمراً عباده بطاعته والقيام بحقه والإحسان إلى خلقه بأن يقيموا الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وأن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكاة والنفقة على القرابات والإحسان إلى الأجانب، وليبادروا إلى هذه الأعمال الحسنة وذلك لخلاص أنفسهم ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ أي ولا يقبل من أحد فدية أن تباع نفسه أي كما يقول تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

وقال تعالى:

﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥].

عن[2] ابن عباس: هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن وكذلك قال قتادة واختاره ابن جرير فالعبد المملوك لا يقدر على شيء مثل الكافر والمرزوق الرزق الحسن فهو ينفق منه سراً وجهراً هو المؤمن وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى فهل يستوي هذا وهذا ولما كان الفرق واضحاً بينا لا يجهله إلا كل غبي قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قال تعالى:

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

لما ذكر[3] الله تعالى بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام وفي الحديث: «أمك وأباك ثم أدناك أدناك» وفي رواية ثم الأقرب فالأقرب وفي الحديث «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه»[4] ولما أمر الله

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج٢ ص٥٥٨.
(٢) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج٢ ص٦٠٠.
(٣) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج٣ ص٣٩.
(٤) صحيح البخاري (٢٠٦٧) وصحيح مسلم(٢٥٥٧).

سبحانه وتعالى بالإنفاق حسب الأوجه التي ترضي الله تعالى فإنه نهى عن التبذير والسرف «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين» أي أشباه الشياطين . قال ابن مسعود : التبذير هو الإنفاق في غير حق. وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً ولو أنفق مدًّا في غير حق كان مبذراً. وقال قتادة : التبذير النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق والفساد .

وقال تعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

يقول الله تعالى[1] أمراً بالاقتصاد بالعيش ذاماً البخل ناهياً عن السرف . ولا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً. ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوماً محسوراً، وهذا من باب اللف والنشر فإن بخلت يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك وكما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة :

ومن كان ذا مال فيبخل بماله على قومه يستغن عنه ويذمِ .

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير وهو كالدابة التي عجزت عن المسير فوقفت ضعفاً وعجزاً فإنها تسمى الحسير .

قال تعالى :

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

إن[2] لله في ذلك حكمة حيث يبسط الرزق على هذا من المال الكثير ويضيق على هذا ويقتر على هذا رزقه جداً وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره كما قال تعالى:

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج٣ ص٤٠ .

(٢) تفسير القرآن ـ لأبن كثير ج٣ ص٥٤٩ .

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١] أي كما هم متفاوتون في الدنيا هذا فقير مدقع وهذا غني موسع عليه فكذلك هم في الآخرة هذا في الغرفات في أعلى الدرجات وهذا في القمرات في أسفل الدركات .﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه لكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث «يقول الله تعالى أَنفق أُنفق عليك» .

قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠] .

يخبر الله تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلاً ونهاراً سراً وعلانيةً يرجون بذلك ثواب الله .

قال تعالى :

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥-١٩] .

يخبر الله تعالى عن المتقين لله عز وجل أنهم في الآخرة يكونون في جنات وعيون بخلاف أولئك الأشقياء ومالهم من عذاب ونكال وحريق وأغلال .

إن المتقين في حياتهم الدنيوية كانوا محسنين ينفذون ما أمرهم ربهم وكانوا طائعين له .

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[1] أي أنهم كانوا يكابدون الليل بالصلاة وقراءة القرآن وذكر الله والاستغفار وقليلاً ما ينامون وينشطون إلى وقت السحر لكي يكثروا من الاستغفار .

﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ إن الله وصفهم بالصلاة وقيام الليل وثنى عليهم بوصفهم بالزكاة والبر والصلة ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ﴾ أي جزء من أموالهم مقسوم أفرزوه للسائل والمحروم .

فالسائل هو الذي يبتدئ بالسؤال وله حق، عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين ابن علي ﷺ أجمعين قالت : قال رسول الله ﷺ: «للسائل حق وإن جاء على فرس»[2].

وأما المحروم فقال ابن عباس ﷺ ومجاهد ﷺ : هو المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم أي الذي ليس له سهم في بيت المال ولا كسب ولا حرفة يتقوت منها، وقالت عائشة أم المؤمنين ﷺ: هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه. وقال الضحاك: هو الذي لا يكون له مال إلا ذهب قضى الله تعالى له ذلك . وقال أبو قلابة : جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل فقال رجل من الصحابة رضي الله عنهم : هذا هو المحروم .

قال الله تعالى :

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[الذاريات: ٢٤-٢٧] .

فقال تعالى:[3] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ أي الذين أرصد لهم الكرامة من رب العزة وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل وقد

---

(١) تفسير القرآن لابن كثير ج٤ ص٢٥٠ .

(٢) سنن أبي داود (١٦٦٥).

(٣) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج٣ ص٢٥٢ .

وردت السنة بذلك كما جاء بظاهر التنزيل. وقوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ الرفع أقوى وأثبت من النصب فرده أفضل من التسليم وقوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ فالخليل اختار الأفضل وقوله تعالى ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام قدموا عليه في صورة شباب حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ وقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ أي انسل خفية وبسرعة ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ أي من خيار ماله، وفي الآية الأخرى ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي مشوي على الرضف ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾أي أدناه منهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ تلطف بالعبارة وعرض حسن وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون وبسرعة ولم يمنن عليهم أو لا فقال نأتكم بطعام بل جاء بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتي سمين فقربه إليهم ولم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين أيديهم لم يأمرهم أمرا يشق على سامعيه بصيغة الجزم قال ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم إن رأيت تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل.

قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩].

في هذه الآية[1] قال تعالى: مادحاً الأنصار ومبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم قال عمر ﷺ: وأوصى الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل، أن يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم رواه البخاري[2]

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج٣ ص٣٦١.

(٢) صحيح البخاري: (٣٧٠٠).

هاهنا أيضاً، وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم. قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال: قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: «ألا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم»[1].

وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس ابن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين قالوا لا إلا أن نقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال «إلا فاصبروا حتى تلقوني ثانية فإنه سيصيبكم أثرة»[2] تفرد به البخاري من هذا الوجه. وقال البخاري[3] حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال: لا فقالوا: أتكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة قالوا: سمعنا وأطعنا تفرد به دون مسلم. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا﴾ أي لا يجدون في أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله من المنزلة والشرف والتقديم بالذكر والرتبة.

ومما رواه أحمد[4] حيث قال حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال الرسول ﷺ مثل مقالته فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثل مقالته فطلع ذلك الرجل على مثل الحالة الأولى، فلما قام رسول

---

(١) مسند أحمد (١٣٠٧٥).
(٢) صحيح البخاري (٣٧٩٤).
(٣) صحيح البخاري (٢٣٢٥).
(٤) في المسند(١٢٦٩٧).

اللهﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال إني لاحيت أبي فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت قال: نعم، قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً .

فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت : يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك لأقتدي به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال : ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه فقال عبد الله فهذه التي بلغت بك وهي التي لا تطاق .

وقال[1] رسول الله ﷺ للأنصار «إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم» فقال الأنصار: أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله ﷺ : «أو غير ذلك»، قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال «هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر» فقالوا: نعم يا رسول الله[2] .

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعني[3] حاجة أي يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك .

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج٤ ص٣٦١ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٢/٥٢٦ .

(٣) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج٤ ص٣٣٨ .

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصدقة جهد المقل»[1] وهذا المقام أعلى من حال الذين وصفهم الله بقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ وقوله تعالى: ﴿وأتى المال على حبه﴾ فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به وهؤلاء يعني الأنصار آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه.

ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله[2]. وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه وهم جرحى في معركة اليرموك فكل منهم يأمر بإعطاء الماء إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء فرده الآخر إلى الثالث فما وصل الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضيَ الله عنهم أجمعين.

وقال البخاري[3]: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل ابن غزوان حدثنا أبو حازم الأشجعي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل لرسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد. فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال النبي ﷺ «ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته: هذا ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال له: «لقد عجب الله عز وجل ـ أو ضحك ـ من فلان وفلانة» وأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان به، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة رضي الله عنه[4].

---

(١) أخرجه أحمد (٨٧٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٦).

(٣) صحيح البخاري (٤٨٨٩).

(٤) البخاري (٣٧٩٨) ومسلم (٢٠٥٤) والترمذي (٣٣٠٤) والنسائي في الكبرى (١١٥٨٢).

وقوله تعالى:

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح. وقال ﷺ: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[1].

وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع ابن الجلاح عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبداً أبداً ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً»[2].

وقال تعالى:

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

إن[3] الله تعالى يأمر في الآية آنفاً عباده بتقوى الله جهد الإمكان قدر الاستطاعة من الالتزام بما يرضي الله ﴿وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ أي كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدوا عنه يميناً ولا يساراً ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلفوا عما به مما أمرتم ولا تركبوا ما عنه زجرتم وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ أي وابذلوا وأعطوا مما رزقناكم على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى:

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ [الحاقة: ٣٥].

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٨).

(٢) سنن النسائي: ٦/ ١٣-١٤.

(٣) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج ٤ ص ٤٠١.

أي[1] لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم، فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً.

وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

وقال تعالى :

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٣-٢٥] .

وهم[2] الذين يحافظون على إقامة الصلاة في أوقاتها وواجباتها بالخشوع والسكينة والطمأنينة بالصلاة، فإن الذي لايطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلاته .

﴿فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ أي في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات وقد تقدم.

وقال تعالى :

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠] .

يأمر[3] الله العباد بإقامة الصلاة الواجبة وإيتاء الزكاة المفروضة﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعني الصدقات فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أي جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو حاصل لكم وهو خير ما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا. وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي[4] حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد قال قال: عبد الله قال رسول الله ﷺأيكم ماله أحب إليه من مال وارثه قالوا : يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال:

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج٤ ص ٤٤٤ .

(٢) تفسير القران. لابن كثير ج٤ ص ٤٤٩ .

(٣) تفسير القران. لابن كثير ج٤ ص ٤٦٨ .

(٤) مسند أبي يعلى (٥١٦٣).

«اعلموا ما تقولون» قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله قال: «إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر».

قال تعالى:

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ٧-١١].

أي[1] يتعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة في أصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر. قال الإمام مالك عن طلحه بن عبد الملك عن القاسم ابن مالك عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[2]. ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قيل على حب الله تعالى وجعلوا الضمير عائداً إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه والأظهر أن الضمير عائد على الطعام أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى: ﴿وآتى المال على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ أي المسكين واليتيم والأسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك: الأسير من أهل القبلة وقال ابن عباس كان إسراؤهم من المشركين ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء « إنما نطعمكم لوجه الله» أي رجاء ثواب الله ورضاه «لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا» أي لا نطلب منكم مجازاة تكافؤننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس، قال مجاهد وسعيد بن جبير أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب «إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا » أي إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير. وقال مجاهد (عبوسا) عابس الشفتين (قمطريرا) قال يقبض الوجه بالبسور ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج٤ ص ٤٨٤.

(٢) الموطأ ٢/ ٤٧٦.

وَسُرُورًا﴾ أي آمنهم بما خافوا منه (ولقاهم نضرة) أي في وجوههم (وسرورا) أي في قلوبهم وأن القلب إذا سر استنار الوجه .

قال تعالى :

﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٧-٢٠].

هنا[١] يأمر الله سبحانه وتعالى بإكرام اليتيم والإحسان إليه وعن عبد الله بن مبارك عن سعيد بن أيوب عن يحيى بن سليمان عن زيد بن أبي عتاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»[٢].

وقال ﷺ «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام[٣]. ـ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ يعني لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك .

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾يعني الاستحواذ على الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ أي من جهة حصل لهم من حلال وحرام ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي حباً خارجاً عن الأصول وزاد بعضهم فاحشاً .

وقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١١-١٦] .

قال[٤] ابن جرير حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبي عطية عن ابن عمر في قوله تعالى ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ أي دخل العقبة قال جبل في جهنم وقال كعب الأحبار ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ هو سبعون درجة في جهنم وقال الحسن البصري هي عقبة في جهنم ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ ثم أخبر عن اقتحامها قال ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾

---

(١) تفسير القرآن. لابن كثير ج٤ ص ٥٤٤ .

(٢) سنن ابن ماجه(٣٦٧٩).

(٣) صحيح مسلم (٢٩٨٣).

(٤) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج٤ ص٥٤٨ .

أي عتق رقبة مؤمنة كما قال الإمام أحمد حدثنا علي بن إبراهيم حدثنا عبد الله يعني ابن سعيد بن أبي هند عن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير عن سعد بن مرجانة أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل أرب ـ أي عضو ـ منها أرباً من النار حتى أنه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج»[1].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ قال ابن عباس يوم ذي مجاعة وكذلك قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة، والسغب هو الجوع وقال إبراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز، وقال قتادة في يوم يشتهى فيه الطعام وقوله يتيما ذا مقربة أي أطعم اليتيم أي ذا قرابة منه في مثل هذا اليوم الذي فيه طعام شحيح عزيز يشتهى وقوله تعالى: ﴿مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي فقيراً مدقعاً لاصقاً بالتراب وقال ابن عباس ذا متربة هو المطروح في الطريق لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب .

وقال عكرمة: هو الفقير المديون المحتاج، وقال سعيد بن جبير هو الذي لا أحد له. وقال آخرون هو ذو العيال .

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾[2] أي أعطى الأمر بإخراجه واتقى الله بأموره ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي بالمجازاة على ذلك كما قال قتادة، وقال خصيف بالثواب وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي بالخلف وبما أنعم الله عليه . ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ قال ابن عباس للخير وقال زيد بن أسلم للجنة . وقال بعض السلف: ثواب الحسنة الحسنة بعدها وجزاء السيئة السيئة بعدها .

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ قال ابن عباس: أي بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي بالجزاء في الدار الآخرة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ أي لطريق الشر .

---

(١) مسند أحمد (٩٤٤١).

(٢) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج٤ ص ٥٥٣ .

وقال تعالى : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧-٢١] .

أي[١] وسيزحزح عن النار التقي النقي الذي يصرف ماله في طاعة الله يزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أي ليس بذل ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفا فهو يعطي مقابله وإنما دفعه ابتغاء وجه ربه الأعلى أي طمعا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنان .

وقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضحى: ٩-١١].

أي[٢] كما كنت يتيماً فآواك الله فلا تقهر اليتيم أي لا تذله وتنهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم .﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي لا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فحاشاً ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله. وقال قتادة: يعني رد المسكين برحمة ولين.﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أي كما كنت عائلا فقيرا فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوي«واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا».

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾[الهمزة: ٢-٤].

أي[٣]جمع ماله وأحصى عدده ألهاه ماله بالنهار هذا إلى هذا فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة. وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أي يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار. (كلا) ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب. وقوله تعالى ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ أي ليلقين هذا الذي جمع مالا فعدده في الحطمة وهي اسم طبقة من أسماء النار.

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج ٤ ص٥٥٦ .

(٢) تفسير القرآن ـ لابن كثير ـ ج ٤ ص ٥٢٥ .

(٣) تفسير القرآن. لابن كثير ج ٤ ص ٥٤٨ .

المبحث الثاني

الجود والكرم في السنة النبوية

١ـ عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى أنفق يا ابن أدم ينفق عليك»[١].

٢ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر أعطِ ممسكاً تلفاً»[٢].

٣ـ وعن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[٣].

٤ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[٤].

٥ـ وعن جابر رضي الله عنه قال: «ما سئل رسول الله شيئاً فقال: لا»[٥].

٦ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير، قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[٦].

٧ـ وعنه قال رسول اللهﷺ: «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعدها إلا أدخله الله تعالى بها الجنة»[٧].

٨ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل»[٨].

---

(١) رواه البخاري (٥٣٥٢).
(٢) رواه البخاري (١٤٤٢).
(٣) رواه البخاري (٦٥٦٣).
(٤) رواه البخاري (٧١٤١).
(٥) رواه البخاري (٦٠٣٤).
(٦) رواه البخاري (١٢).
(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧٥٨٧).
(٨) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

٩ـ وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لاتوكي فيوكيَ الله عليك» وفي رواية «أنفقي وانفحي أو انضحي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك»[١].

١٠ـ وعن أبي أمامة صدى بن عجلان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى»[٢].

١١ـ وعن أبي هريرة ﵁ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتوسع»[٣]. (والجنة) الدرع ومعناه أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتى تجر وراءه وتخفي رجليه وأثر مشيته وخطواته.

١٢ـ وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسقي حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماؤه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك ؟ فقال فلان للاسم الذي سمع في السحابة. فقال له يا عبد الله: لم تسأل عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسقي حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها. فقال: إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه»[٤]. (الحرة) الأرض الملبسة حجارة سوداء و(الشرجة) وهي مسيل الماء.

---

(١) رواه البخاري (١٤٣٣) و(٢٥٩١).

(٢) رواه مسلم (١٠٣٦).

(٣) رواه البخاري (١٤٤٣).

(٤) رواه مسلم (٢٩٨٤).

١٣ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل»[١]. (الفلو) يعني المهر.

١٤ـ وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال: إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية فهو يقول: لو أن لي مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالاً وعلماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو ونيته فوزرهما سواء»[٢].

١٥ـ وعن جابر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على سفك دمائهم واستحلوا محارمهم»[٣].

١٦ـ عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية»[٤].

١٧ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة»[٥].

---

(١) رواه البخاري (١٤١٠).
(٢) رواه الترمذي(٢٣٢٥) وقال حديث حسن صحيح.
(٣) رواه مسلم (٢٥٧٨).
(٤) رواه مسلم (٢٠٥٩).
(٥) رواه مسلم (٢٠٥٨).

١٨ـ عن سهل بن سعد ﷺ أن امرأة جاءت إلى الرسول ﷺ ببردة منسوجة فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها فأخذها النبيﷺ محتاجاً إليها فخرج إلينا وإنها إزاره فقال فلان: «اكسينها ما أحسنها»، فقال: نعم فجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه فقال القوم: ما أحسنت لبسها النبي ﷺ محتاجا إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائلاً، فقال: إني والله ما سألته لألبسها وإنما سألته لتكون كفني. قال سهل: فكانت كفنه [١].

١٩ـ حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان سمعت أبا عمرو الشيباني عن ابن مسعود ﷺ أن رجلاً تصدق بناقة مخطومة في سبيل الله تعالى فقال رسول اللهﷺ«لتأتين يوم القيامة بسبعمائة مخطومة»[٢].

٢٠ـ كما ثبت في الصحيحين أن رسول اللهﷺ قال لسعد بن أبي وقاص حين عاده مريضاً عام الفتح وفي رواية عام الحجة: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى تجعل ما في فم امرأتك»[٣].

٢١ـ عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ«أتى الله بعبد من عبيده يوم القيامة قال: ماذا عملت لي في الدنيا ؟ فقال: ما عملت لك مثقال ذرة في الدنيا أرجوك بها قالها ثلاث مرات قال العبد عند آخرها يارب إنك كنت أعطيتني فضل مال وكنت رجلاً أبايع الناس وكان من خلقي الجواز فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر. قال: فيقول الله عز وجل أنا أحق من ييسر أدخل الجنة»[٤].

٢٢ـ ومما ورد في الأخبار في الإطعام:

قال ﷺ «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع »[٥].

---

(١) رواه البخاري (١٢٧٧).

(٢) مسند أحمد (٢٢٣٥٧).

(٣) رواه البخاري (٥٦).

(٤) أخرجه أحمد (١٧٠٦٤).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف(١٠٣٥).

٢٣ـ وقال: ﷺ« إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها، من ظاهرها وهي لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وصلى الليل والناس نيام»[١].

وكان إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه، وكان يكنى أبا الضيفين، ولصدق نيته دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوام الموضع: أنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف.

٢٤ـ وسئل رسول اللهﷺ: أي الإسلام خير قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[٢].

وسئل عن الحج المبرور فقالﷺ: «إطعام الطعام وطيب الكلام»[٣].

٢٥ـ وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليكرم ضيفه»[٤].

ودل حصول الإكرام باللحم قوله تعالى في ضيف إبراهيم إذ أحضر العجل الحنيذ والذي أجيد نضجه وهو أحد معاني الإكرام أي تقديم اللحم وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾[البقرة: ٥٧] والمن: هو العسل، والسلوى: هو اللحم سمي بالسلوى لأنه ينسلي به عن جميع الإدام ولا يقوم مقامه غيره، ولذلك قال النبي ﷺ: «سيد الإدام اللحم»[٥]. ثم قال بعد ذكر المن والسلوى ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧] فاللحم والحلويات من الطيبات.

٢٦ـ وقال النبيﷺ: «السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة»[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي(٢٥٢٧) من حديث علي وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق

(٢) أخرجه مسلم (٣٩).

(٣) أخرجه أحمد (١٤٤٨٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٨).

(٥) المعجم الأوسط (٧٤٧٧).

(٦) أخرجه ابن عدي في الكامل ١/ ٢٣٥ وابن حبان في المجروحين ١/ ٢٤٥. وابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ١٨٢ .

٢٧ـ وقال جابر ﷺ: قال النبي ﷺ «قال جبريل عليه السلام: قال الله تعالى إن هذا الدين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه ما استطعتم»[١].

٢٨ـ وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول اللهﷺ: «ما جبل الله وليا له إلا على حسن الخلق والسخاء»[٢].

٢٩ـ وعن جابر ﷺ قال: قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل إلى الله ؟ قالﷺ: «الصبر والسماحة»[٣].

٣٠ـ وقال ابن عمر ﷺ: قال النبي: «إن لله عباداً يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله عنه وحولها إلى غيره»[٤].

٣١ـ وعن الهلالي قال: أتى رسول الله ﷺ بأسرى من بني العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلاً فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا بينهم ؟ قال ﷺ: «نزل علي جبريل فقال: اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه »[٥].

٣٢ـ وقال ﷺ: «إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفافها »[٦].

٣٣ـ وقال أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: « السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار، وإن البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل»[٧].

٣٤ـ وقالﷺ: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين»[٨].

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (١٠٨٦٥).
(٢) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ١٧٩.
(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٩٧١٠).
(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٧٦٦٢).
(٥) لم أجد له أصلاً.
(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (١٠٨٤٠) .
(٧) أخرجه الترمذي (١٩٦١).
(٨) أخرجه ابن عدي في الكامل ٦/ ٢٨٩، والبيهقي في الشعب (١٠٨٩٤).

٣٥ـ قال النبيﷺ: «لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغضه الله ومن أبغض الله أبغضه الله»[١].

٣٦ـ وقال: ﷺ «لا خير فيمن لا يضيف»[٢].

٣٧ـ ومر رسول اللهﷺ برجل له إبل وبقر كثير فلم يضيفه، ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال ﷺ: «انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل»[٣].

٣٨ـ وقالﷺ: «شر الطعام طعام وليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء »[٤].

٣٩ـ وقال ﷺ: « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق فزينوا دينكم بهما»[٥].

٤٠ـ وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: قال النبي ﷺ : « أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الإيمان قال: اللهم قوني فقواه بالسخاء وحسن الخلق ولما خلق الله الكفر قال: اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق »[٦].

٤١ـ وقال ﷺ : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق »[٧].

٤٢ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[٨].

---

(١) أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان « لا يكلف أحد الضيف ما لا يقدر عليه » وفيه محمد ابن الفرج الأزرق متكلم فيه كما في تخريج الأحاديث الإحياء.

(٢) أخرجه أحمد(١٧٤١٩) من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠١٥٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥١٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٤٧) عن حديث عمران بن الحصين.

(٦) لم اقف له على أصل هكذا ولأبي داود(٤٧٩٩) والترمذي(٢٠٠٣) من حديث أبي الدرداء (ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق) وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٣٣٣)، وأبو يعلى (٦٥٥٠) عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨) أخرجه البخاري(١٤٤٢) ومسلم(١٠١٠) من حديث أبي هريرة.

٤٣ـ وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة ﷺ فجاء بخبز وزيت فأكل، ثم قال النبي ﷺ : «أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلَّت عليكم الملائكة»[١].

٤٤ـ عن زيد بن خالد الجهني ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء»[٢].

٤٥ـ وعن أم عمارة الأنصارية ﷺ أن النبي ﷺ دخل عليها فقدمت إليه طعاما فقال (كلي) فقالت: إني صائمة، فقال رسول الله ﷺ : «إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا» وربما قال «حتى يشبعوا»[٣].

٤٦ـ وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليقل خيراً أو يصمت»[٤] (٤).

٤٧ـ وعن أنس ﷺ قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه ولقد جاء إلى رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وإن كان الرجل ليسلم وما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»[٥].

٤٨ـ وعن عائشة ﷺ أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ: «ما بقي منها؟» قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: «بقي كلها غير كتفها»[٦].

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٨٠٧).

(٣) رواه الترمذي(٧٨٥) وقال : حديث حسن صحيح.

(٤) رواه البخاري (٦٠١٨).

(٥) رواه مسلم (٢٣١٢).

(٦) رواه الترمذي (٢٤٧٠) وقال: حديث حسن صحيح.

٤٩ ـ وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم في المدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم»[١].

٥٠ ـ وعن ابن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: « لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[٢].

٥١ ـ وقال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبب إليهم المعروف، وحبب إليهم، ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءَه كما يسر الغيث إلى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي به أهلها»[٣].

٥٢ ـ وقال رسول الله ﷺ : «كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان»[٤].

٥٣ ـ وقال رسول اللهﷺ: «كل معروف فعلته إلى غني أو فقير صدقة»[٥].

٥٤ـ وقال رسول الله ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق»[٦] .

٥٥ ـ وقال أبو هريرة ﷺ: قال رسول اللهﷺ: « السخي الجهول أحب إلى الله من عابد بخيل»[٧].

---

(١) رواه البخاري (٢٤٨٦).

(٢) رواه مسلم (٨١٦).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا كما في الدر المنثور٤/ ٢٣٦.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٧٦٥٧).

(٥) أخرجه أبو يعلى (٢٠٨٥).

(٦) أخرجه الترمذي (١٩٦٢).

(٧) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣/ ١٧٨.

٥٦ ـ وقال رسول اللهﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»[١].

٥٧ ـ وفي الصحيحين عن[٢] أبي سعيد أن علياً بعث إلى النبيﷺبذهيبة في تربتها من اليمن فقسمها بين أربعه نفر: الأقرع بن حابس، عيينة بن بدر، علقمة بن علاثة وزيد الخير وقال (أتألفهم) ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائهم.

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣٢١٠).

(٢) البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).

المبحث الثالث

الجود والكرم عند الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم

١ـ الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ

اسمه: عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، القرشي، التيمي يلتقي مع الرسول ﷺ في مرة.

قال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧]. قال ابن الجوزي: أجمعوا أنها نزلت في أبي بكر الصديق. وأخرج أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر» فبكى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله. وأخرج أبو يعلى من حديث عائشة ﷺ مرفوعاً مثله. وقال ابن كثير وروي أيضاً من حديث علي وابن عباس وأنس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري ﷺ أجمعين وأخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلاً «كان رسول الله يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه». وأخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة ﷺ وعروة بن الزبير « أن أبا بكر ﷺ أسلم وله أربعون ألف دينار، وفي لفظ أربعون ألف درهم فأنفقها على الرسول ﷺ» وأخرج أبو سعيد بن الأعرابي عن ابن عمر ﷺ قال: أسلم أبو بكر ﷺ يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم فخرج إلى المدينة في الهجرة وماله غير خمسة آلاف كل ذلك ينفقه في الرقاب والعون على الإسلام. وأخرج ابن شاهين في السنة والبغوي في تفسيره وابن عساكر عن ابن عمر قال «كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال: ياجبريل أنفق ماله عليّ قبل الفتح قال: فإن الله تعالى يقرأ عليه السلام ويقول:

قل له أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر: أسخط على ربي؟ أنا عن ربي راضٍ أنا عن ربي راضٍ أنا عن ربي راضٍ»[1].

وأخرج الخطيب[2] بسند واه أيضاً عن ابن عباس ﷺ عن النبيﷺ قال: «هبط علي جبريل عليه السلام وعليه طنفسة وهو متخلل بها فقلت له: يا جبريل ما هذا ؟ قال إن الله تعالى أمر الملائكة أن تتخلل في السماء كتخلل أبي بكر في الأرض» قال ابن كثير وهذا منكر جداً وقال ولولا أن هذا والذي قبله يتداوله كثير من الناس لكان الإعراض عنهما أولى.

وأخرج أبو داود والترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي. قلت اليوم أسبق أبا بكر أن سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت مثله وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسبقه في شيء أبدا »[3].

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن الحسن البصري قال: (إن أبا بكر أتى النبيﷺ بصدقته فأخفاها فقال: يا رسول الله هذه صدقتي ولله عندي معاد وجاء عمر فأظهرها فقال: يا رسول الله هذه صدقتي ولي عند الله معاد فقال رسول اللهﷺ ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما»[4].

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مالأحد عندنا يَدٌ إلا وقد كافأناه إلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر»[5].

---

(١) أخرجه ابن حبان في المجروحين ٢/ ١٨٥ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٢٩٤.
(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٤٤١.
(٣) أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥).
(٤) حلية الأولياء ١/ ٣٢.
(٥) الترمذي (٣٦٦١).

وأخرج البزار عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: جئت بأبي قحافة إلى النبي ﷺ فقال: «هلا تركت الشيخ حتى آتيه، قال بل هو أحق أن يأتيك قال: إنا نحفظه لأيادي ابنه عندنا»[1].

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحد عندي أعظم يداً من أبي بكر وأساني في نفسه وماله وأنكحني ابنته»[2].

وقال[3] ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن زياد المحاربي مؤدب محارب أن موسى بن عمير عن عامر الشعبي في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال نزلت الآية في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وقال النبي ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه «إن الله تعالى قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بي من أمتي، وأعطاني مثل إيمان كل من آمن بي من ولد آدم»[4].

وقال عليه السلام «رأيت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فرجحت بهم، ووضع أبي بكر في كفة وجيء بأمتي فوضعت في كفة فرجح بهم»[5].

ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله ﷺ بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال: «لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى»[6] يعني نفسه.

---

(١) مسند البزار (٧٩).
(٢) تاريخ دمشق ٣٠/ ٦٠.
(٣) تفسير القرآن ـ لابن كثير ج١ ص٣٣٠.
(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ٥٢.
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٤٨٤).
(٦) أخرجه مسلم (٢٣٨٣).

٢ـ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ

اسمه: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب وفي كعب يجتمع نسبه مع نسب النبي ﷺ، وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

وإنما سمي بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل، وكنيته أبو حفص وهو أول من سمي بأمير المؤمنين، سماه عدي بن حاتم وقيل غيره والله أعلم.

وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة. وأول من دعا له بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الأشعري.

وأبو موسى أول من كتب إليه: لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من أبي موسى الأشعري، فلما قرئ ذلك على عمر قال: إني لعبد الله وإني لعمر وإني لأمير المؤمنين، والحمد لله رب العالمين.

وكان متواضعاً، خشن الملبس، شديدا في ذات الله، واتبعه عماله في سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه، الكل يتشبه به فمن غاب أو حضر، وكان يلبس جبة الصوف المرقعة بالأديم وغيره ويشتمل بالعباءة، ويحمل القربة على كتفه مع هيبته وكان أكثر ركابه الإبل، ورحله مشدود بالليف، وكذلك عماله مع ما فتح الله عليهم من البلاد وأوسعهم من الأموال.

وقد بلغ من زهد عمر ﷺ أن أصاب أرضاً بخيبر فأتى النبي ﷺ، فقال: أصبت أرضاً بخيبر لم أحب مالاً قط أنفس عندي منه، فما تأمر به ؟ وأجاب رسول الله ﷺ: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها، فتصدق عمر بها على الفقراء والقربى وفي الرقاب

وفي سبيل الله والضيف، لاجناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم صديقا غير متمول فيها وقال: إنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا تورث، فكانت هذه أول صدقة تصدق بها في الإسلام، وكانت الأصل الأول لنظام الوقف عند المسلمين[1].

وأخرج أبو داود والترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق. فوافق ذلك مالا عندي، قلت: اليوم أسبق أبا بكر أن سبقته يوما فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسبقه في شيء أبداً »[2].

(١) ١.حسن إبراهيم حسن ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي ـ ج١ ص ٢٤٩.
(٢) أبو داود (١٦٧٨) والترمذي (٣٦٧٥).

٣ـ الخليفة عثمان بن عفان ﷺ

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي، الأموي، أبو عمرو ويقال أبو عبد الله، وأبو ليلى.

ولد في السنة السادسة من الفيل وأسلم قديماً وهو من دعاة الصديق إلى الإسلام وهاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة.

وتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ وماتت عنده في ليالي غزوة بدر. فتأخر عثمان عن بدر لتمريضها بإذن رسول الله ﷺ وضرب له بسهمه وأجره فهو معدود في البدريين بذلك وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دفنوها بالمدينة، فزوجه رسول الله ﷺ بعدها أختها أم كلثوم وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة.

قال العلماء[١] ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولذلك سمّي ذا النورين فهو من السابقين الأولين، وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن.

وروي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وستة وأربعون حديثاً.

وأخرج مسلم عن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟»[٢].

وأخرج البخاري[٣] عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم فقال: أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ، ألستم تعلمون أن رسول

---

(١) تاريخ الخلفاء ـ للسيوطي ص١٤٨.
(٢) تاريخ الخلفاء ـ للسيوطي ص١٥١.
(٣) صحيح مسلم (٢٤٠١).

اللهﷺ قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» ؟ فجهزتهم. ألستم تعلمون أن رسول اللهﷺ قال: «من حفر بئر رومة فله الجنة»؟، فحفرتها، فصدقوه بما قال[1].

وأخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حض على الجيش، فقال عثمان: يا رسول الله عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حض على الجيش فقال عثمان: يارسول الله عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فنزل رسول اللهﷺ وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه شيء [2].

جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فجعل رسول الله ﷺ يقلبها ويقول: « ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم »[3].

ومن جوده[4]: أصاب الناس قحط في خلافة أبي بكر فلما اشتد بهم الأمر جاءوا إلى أبي بكر وقالوا: ياخليفة رسول الله، إن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فما نصنع ؟ فقال: انصرفوا واصبروا فإني أرجو الله ألا تمسوا حتى يفرج الله عليكم.

فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيراً لعثمان بن عفان جاءت من الشام. فلما جاءت خرج الناس يتلقونها فإذا هي ألف بعير موسقة براً وزيتاً وزبيباً، فأناخت بباب عثمان بن عفان، فلما جعلها في داره جاء التجار، فقال لهم، ما تريدون ؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد!

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٧٨).
(٢) سنن الترمذي (٣٧٠٠).
(٣) أخرجه أحمد (٢٠٣٦٠).
(٤) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص١٨٩.

بعنا من هذا الذي وصل إليك فإنك تعلم ضرورة الناس إليه. قال: حباً وكرامة. كم تربحونني على شرائي؟ قالوا: الدرهم درهمين، قال: أعطيت زيادة على هذا. قالوا: أربعة، قال: أعطيت زيادة على هذا، قالوا: خمسة، قال: أعطيت أكثر من هذا. قالوا: يا أبا عمرو ما بقي في المدينة تجار غيرنا وما سبقنا إليك أحد فمن ذا الذي أعطاك ؟ قال: إن الله أعطاني بكل درهم عشرة. أعندكم زيادة ؟ قالوا: لا، قال: فإني أشهد الله أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله عز وجل على المساكين وفقراء المسلمين .

وروي أنه كان لعثمان على طلحة خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما إلى المسجد فقال له طلحة: قد تهيأ مالك فاقبضه، فقال: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك.

٤ـ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وآل بيته

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤].

هذا [١] مدح للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات ليلاً ونهاراً والأحوال سراً وجهاراً حتى أن النفقة على الأهل تدخل ضمن ذلك.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن شعيب قال: سمعت سعيد بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن عريب المليكي عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أن الآية آنفاً نزلت في أصحاب الخيل. وقال حنش الصنعاني عن ابن شهاب عن ابن عباس في هذه الآية: هم الذين يعلفون الخيل في سبيل الله.

وكذا روي عن أبي أمامة وسعيد بن المسيب ومكحول، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا يحيى بن يمان عن عبد الوهاب بن مجاهد عن ابن جبير عن أبيه قال: كان لعلي بن أبي طالب أربعة دراهم فأنفق درهماً ليلاً ودرهماً نهاراً ودرهماً سراً ودرهماً علانيةً فنزلت الآية ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ وكذا رواه ابن جرير عن طريق عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف لكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب. وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في خطبته:

إنه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده ولم يؤمر بذلك. وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: والله ما استقص كريم قط حقه.

---

(١) تفسير القرآن ـ لابن كثير ص٣٣٣.

كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضوان الله عليهم يعتب إليه في إعطاء الشعراء فكتب إليه خير المال ما وقي به العرض.

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما: من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخياً وإنما السخي من يبتدئ بحقوق الله تعالى.

وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه:

لامال أعون من العقل. ولا مصيبة أعظم من الجهل. ولا مظاهرة كالمشاورة. ألا وإن الله عز وجل يقول: إني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار. والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة. وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن المروءة والنجدة والكرم فقال: أما المروءة: فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والإقدام في الكراهية. وأما النجدة: فالذب عن الجار والصبر في المواطن. وأما الكرم: فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل .

وقيل رفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال له الحسن: حاجتك مقضية، فقيل له: يا ابن بنت رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك ؟ فقال: يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعته.

٥ـ قيس بن سعد بن عبادة

هو قيس بن سعد بن عبادة شيخ الخزرج كان من دهاة العرب وذوي الرأي الصائب وكان شريف قومه غير مدافع وعاش إلى أيام معاوية ومات سنة ٥٨ للهجرة وهو من الصحابة رضي الله عنهم.

وقيل[١] تمارى ثلاثة في أجواد الإسلام، فقال رجل: أسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر. وقال آخر: أسخى الناس عرابة الأوسي. وقال ثالث: بل قيس بن سعد بن عبادة. وأكثروا الجدال في ذلك وعلا ضجيجهم وهم في فناء الكعبة .

فقال لهم رجل: قد أكثرتم الجدال في ذلك فما عليكم أن يمضي كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان ؟

فقام صاحب عبد الله إليه، فصادفه قد وضع رجله في غرز ناقته يريد ضيعة له، فقال: يا بن عم رسول الله، قال: قل ما تشاء، قال: أنا ابن سبيل ومنقطع به ؟ فأخرج رجله من غرز الناقة وقال له: ضع رجلك واستوِ على الراحلة؛ وخذ ما في الحقيبة واحتفظ بالسيف فإنه من سيوف علي بن أبي طالب رضي الله عنه! فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خز[٢] وأربعة آلاف دينار وأعظمها وأجلها السيف. ومضى صاحب قيس بن سعد ابن عبادة فصادفه نائما فقالت الجارية: هو نائم، فما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به. قالت: حاجتك أهون من إيقاظه! هذا كيس فيه سبعمائة دينار والله يعلم أن ما في دار قيس غيره خذه وامضِ إلى معاطن الإبل[٣] إلى أموال لنا بعلامتنا فخذ راحلة

---

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص ٢٢١.

(٢) المطرف من الثياب : ما جعل في طرفه علمان.

(٣) المعطن : مبرك الإبل.

من رواحله وما يصلحها وعبدا وامضِ لشأنك! ولما انتبه قيس من رقدته أخبرته بما صنعت فأعتقها.

ومضى صاحب عرابة الأوسي إليه فألفاه قد خرج من منزلهِ يريد الصلاة وهو يمشي على عبدين وقد كف بصره فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به. فخلّى العبدين وصفق بيمناه على يسراه وقال: أواه ما تركت الحقوق لعرابة مالا ولكن خذهما يعني العبدين. قال: ما كنت بالذي أقص جناحيك قال: إن لم تأخذهما فهما حران فإن شئت تأخذ وإن شئت تعتق وأقبل يلتمس الحائط راجعاً إلى منزله. فأخذ صاحبه وجاء بهما إلى رفاقه فقالوا: إن هؤلاء الثلاثة أجود عصرهم إلا أن عرابة الاوسي أكثرهم جودا لأنه أعطى جهده.

وفي سنة[1] ثمان للهجرة كانت غزوة الخبط، وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح، في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار وكانت في رجب، وزودهم رسول اللهﷺ جراباً من التمر، فكان أبو عبيدة يقبض لهم قبضة ثم تمرة ثم تمرة، فكان أحدهم يلوكها ويشرب عليها الماء إلى الليل فنفد ما في الجراب، فأكلوا الخبط وجاعوا جوعا شديدا فنحر لهم قيس بن سعد بن عبادة تسع جزائر فأكلوها، فنهاه أبو عبيدة فانتهى. ثم إن البحر ألقى إليهم حوتاً ميتاً فأكلوا منها حتى شبعوا، ونصب أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه، فيمر الراكب تحته (يعني ضلع الحوت). فلما قدموا المدينة ذكروا ذلك للنبيﷺ، قال: كلوا رزقاً أخرجه الله لكم، وأكل منه رسول اللهﷺ، وذكروا صنيع قيس بن سعد فقال: «إن الجود شيمة أهل ذلك البيت»[2].

وحسبك من يثني عليه الرسول ﷺ.

---

(١) الكامل في التاريخ. لابن الأثير ج٢ ص٢٣٢.

(٢) أورده الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٦١.

وقيل[1] مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقيل له: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال: أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة. ثم أمر منادياً فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو بريء منه قال: فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعاده لمشافاته. وقيل [2]وقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة فقالت أشكو إليك قلة الجرذان قال: ما أحسن هذه الكناية!املؤوا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً.

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٨٤٨

(٢) العقد الفريد. لابن عبد ربه ج١ ص٢٥٦.

المبحث الرابع

ما جاء به الرسول ﷺ

والصحابة والتابعون والأولياء والصالحون

تقديم الطعام للضيوف والإخوان

حيث جاء في أخبار الإطعام: قال النبيﷺ: «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع »[1]. وروي عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكل جميعه وكانوا يقولون: بلغنا عن رسول اللهﷺ أنه قال: «إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل من فضل ذلك»[2] فإنّا نحب أن نستكثر مما يقدم إليكم لنأكل فضل ذلك. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: من كرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لإخوانه. وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون: الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق، وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقوا إلا على ذواق.

وفي الأخبار[3] «يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة: يا ابن أدم استطعمتك فلم تطعمني، فيقول: أطعمك وأنت رب العالمين ؟ فيقول: جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته أطعمتني».

وقال ﷺ «من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه أبعده الله من النار بسبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام»[4] .

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٠٣٥).

(٢) لم أقف له على أصل.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٤٤.

وكان[1] محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن ﷺ فيأكلون ما يجدون بغير إذن، وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر به ويقول: هكذا كنا. وروي عن الحسن ﷺ أنه كان قائماً يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسية فقال له هشام: ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل من متاع الرجل بغير إذنه ؟ فقال: يا لكع اتل علي آية الأكل فتلا إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [سورة النور: ٦١] فقال: فمن الصديق يا أبا سعيد؟ قال: من استروحت النفس إليه واطمأن القلب إليه. ومشى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول: ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا. وقال بعضهم: الأكل على ثلاثة: ١ـ مع الفقراء بالإيثار. ٢ـ مع الإخوان بالانبساط. ٣ـ ومع أبناء الدنيا بالأدب.

وقال أنس ﷺ: كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة.

وكان[2] إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة ما بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوام الموضع: أنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف .

ومن الكرم هو تعجيل الطعام للضيوف: كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٥٤] أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩] .

وقال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنة المصطفى ﷺ: «إطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب، ويستحب التعجيل في الوليمة ويستحب تقديم ألطف الأنواع من الطعام حتى يستوفي منها من يريد الأكل من الأنواع الأخرى ويكون الطعام من الكثرة بحيث يكفي فإن التقليل من الكفاية يعتبر نقصاً في المروءة».

---

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٣٢١ طبعة المكتبة القيمة.

(٢) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٣٢٢.

وفي[1] الأخبار أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاماً كثيراً على مائدته فقال له سفيان الثوري: يا أبا أسحق أما تخاف أن يكون هذا سرفاً ؟ فقال إبراهيم: ليس في الطعام سرف فإن لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف.

ومن الآراء المليحة والكلام الجميل: ينبغي أن يعزل نصيب أهل الضيافة أو الدار في الولائم حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق ألسنتهم في الضيوف ويكون قد أطعم الضيوف ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم.

وإن من سنة الضيافة حفاوة الاستقبال وبشاشة الوجه وطلاقته وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة وخدمة الضيف وفي الأخبار: قدم وفد النجاشي على المصطفى ﷺ فقام بخدمتهم بنفسه فقال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله، فقال: «كلا إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم». وقيل للأوزاعي: ما كرامة الضيف ؟ قال: طلاقة الوجه وطيب الحديث، وقال يزيد بن أبي زياد: ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى إلا حدثنا حديثاً حسناً وأطعمنا طعاماً حسناً.

إن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن، وإن الكرم والسخاء مرتبط بحسن الخلق كما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة حيث قال المصطفى ﷺ: «أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الأيمان قال: اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال: اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق»[2].

وقال ﷺ «إن الله أستخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما»[3].

---

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٣٢٧ .

(٢) انظر ما سلف ص١٠٢ .

(٣) سلف ص١٠٢ .

وقال الجنيد: أربع ترفع العبد أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان.

والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعاً وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أثنى الله بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال الحواريون[١] لعيسى عليه السلام: مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك قال: ما منزلة الدينار والدرهم عندكم؟ قالوا: حسنة، قال: لكنهما والمدر عندي سواء. وكتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي رضي الله عنهما: يا أخي إياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله: أمضي فقد أديت حق الله فيّ. ثم يجاء بصاحب المال الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله: ويلك ألا أديت حق الله فيّ فما يزال كذلك يدعو بالويل والثبور»[٢].

وفي الآثار[٣] روي أن رجلاً نال من أبي الدرداء وأراه سوءاً فقال: اللهم من فعل بي سوءاً فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله. فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر؟ لأنه لابد أن يفضي إلى الطغيان، ووضع علي كرم الله وجهه درهماً على كفه ثم قال: أما إنك مالم تخرج عني لا تنفعني.

وروي عن عمر رضي الله عنه [٤] أرسل إلى زينب بنت جحش بعطائها فقالت: ما هذا؟ قالوا: أرسل إليك عمر بن الخطاب، قالت: غفر الله له ثم سلت ستراً كان لها فقطعته وجعلته صرراً وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا. فكانت أول نساء الرسول ﷺ لحوقاً به. وقال

---

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٨٣٣ .

(٢) شعب الإيمان (١٠٦٥٧).

(٣) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص ٨٣٤,

(٤) المصدر نفسه.

الحسن ﷺ: والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله. وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم[1] رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال: من أحبكما فهو عبدي حقاً. وقال سميط بن عجلان: إن الدرهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها إلى النار. وقال يحيى ابن معاذ: الدرهم عقرب إن لم تحسن رقيته فلا تأخذه فإنه إن لدغك قتلك سمه، وقيل ما رقيته ؟ قال: أخذه من حله ووضعه في حقه.

وقال العلاء بن زياد[2]: تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت: أعوذ بالله من شرك ! فقالت: إن سرك أن يعيذك الله مني فأبغض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا.

وفي ذلك قيل:

لا يغرنك من المرء قميص رقعه
أو إزار فوق عظم الساق رفعه
أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه
أره الدرهم تعرف حسبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك[3] أنه دخل على عمر بن عبد العزيز ﷺ عند موته فقال: يا أمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك وليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة وعشرون ولداً فقال عمر: أقعدوني ،فأقعدوه فقال: أما قولك لم أدع لهم درهماً ولا ديناراً فإني لم أمنعهم حقاً لهم ولم أعطهم حقاً لغيرهم وإنما ولدي أحد الرجلين: إما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين، وإما عاصٍ لله فلا أبالي على ما وقع. وروي أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالاً كثيراً فقيل له: لو ادخرته لولدك بعدك ؟ قال: لا ولكني أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٨٣٤ .

ويذكر الإمام أبو حامد الغزالي في ذم الغنى ومدح الفقر[1] [فإني رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه أنواع الهموم وفنون المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره، فرح الهالك برجائه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له مصيره ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]. فيالها من مصيبة ما أفظعها ورزية ما أجلها ألا فراقبوا الله إخواني ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الإنسيين بالحجج الداحضة عند الله. فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله ﷺ كانت لهم أموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال، ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون. ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها لسانك فتهلك لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم. ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمداً والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت، ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله ﷺ لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير للأمة ؟ فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال. كذبت ورب السماء على رسول الله ﷺ فقد كان للأمة ناصحاً وعليهم مشفقاً وبهم رؤوفاً.

ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم ؟ أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم إن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه، وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل لذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٨٦٠ ـ المكتبة القيمة.

الله عن جهلك أيها المفتون ؟ تدبر بعقلك ما دهاك الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف، وقد ود عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً؟

وقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال أناس من أصحاب الرسول ﷺ: إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك. فقال كعب: سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسباً طيباً وأنفق طيباً وترك طيباً. فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بعظم لحي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعباً، فقيل لكعب: إن أبا ذر يطلبك، فخرج هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر، وأقبل أبو ذر يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبي ذر، فقال أبو ذر: هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ،ولقد خرج رسول الله ﷺ يوما نحو أحد وأنا معه فقال: يا أبا ذر، فقلت: لبيك يا رسول الله، فقال: «الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم» ثم قال يا أبا ذر، قلت: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي، قال: «ما يسرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله وأموت يوم أموت وأترك منه قيراطين» قلت: أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال: بل قيراطان ثم قال: «يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل» فرسول الله ﷺ يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ؟ كذبت وكذب من قال. فلم يرد عليه خوفاً حتى خرج].

ويروى أن رجلاً قال لابن عبد ربه: يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير. فأخرج ابن عبد ربه من ماله مائة ألف درهم. وقال يحيى بن معاذ: مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته، وقيل: ما هما ؟ قال: يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله. وقال رسول الله: ﷺ «نعم المال الصالح للرجل الصالح»[1]. وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج المبرور فهو ثناء على المال إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٢١٠).

وليعلم الناس أن المال مثل حية[1] فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره وصرف المال يتم لأمور دنيوية ودينية. أما الأمور الدنيوية لا حاجة لذكرها لأن كل إنسان يعرفها وشعبها كثيرة ويطول شرحها، أما الأمور الدينية فما يخرج من الإنسان عبارة عن صدقات وإعانات للمحتاجين إذ بها يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء وبها يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسخياء فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا مما يعظم الثواب فيه. فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها.

فوائد المال:

وفي المال يقي الإنسان عرضه لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضاً تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية حيث قال رسول اللهﷺ: «ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة»[2] وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز ما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على تجاوز حدود الشريعة. وكذلك صرف المال على عموم الناس لكي يحصل به خير عام مثال ذلك: بناء المساجد، القناطر، الرباطات، ودور المرض ونصب الجباب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارّة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متمادية وناهيك بها خيراً. وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال النبيﷺ: «خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل، فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله تعالى فسوء الخلق والبخل. وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله لقضاء حوائج الناس»[3].

---

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٨٣٦.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٠٤٠) من حديث جابر.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٧٦٥٩).

وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني إلى الجنة قال ﷺ: «إن موجبات المغفرة: بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام»[1]. وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فإني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «تجافوا عن ذنب السخي فإن الله يأخذ بيده كلما عثر»[3].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وإن الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام»[4].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله: «إن لله عباداً اختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها إلى غيره»[5].

وقال ﷺ: «من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه، فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال»[6].

وقال عيسى عليه السلام: استكثروا من شيء لا تأكله النار، قيل ما هو ؟ قال: المعروف.

وإن الله عز وجل يقول إني جواد كريم لا يجاورني لئيم، واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار، والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤٦٩) بلفظ بذل السلام وحسن الكلام.
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧١٧).
(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧١٧).
(٤) أخرجه الديلمي في الفردوس (٤٩٥٨).
(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥١٦٢).
(٦) أخرجه ابن حبان في المجروحين ٢/ ٢٨٠ .

وقال أبو هريرة ﷺ: قال رسول اللهﷺ: «إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار، وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله من عالم بخيل وأدوأ الداء البخل»[1].

وقال أبو سعيد الخدري ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «إن الله جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله ووجه إليهم طلاب المعروف ويسر إليهم إعطاؤه كما يسر الغيث إلى البلدة المجدبة فيحييها ويحيي به أهلها»[2].

روي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سخي. وقال جابر: بعث رسول الله ﷺ بعثاً عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله ﷺ بذلك فقال ﷺ: « إن الجود شيمة أهل ذلك البيت»[3].

وسئل بعض الأعراب: من سيدكم ؟ فقال: من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا.

وقال[4] حذيفة ﷺ: رب فاجر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته. وروي أن الأحنف بن قيس رأى رجلاً في يده درهم فقال له لمن هذا الدرهم ؟ فقال: لي، فقال: أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك. وفي معناه قيل:

أنت للمال إذا أمسكته ... فإذا أنفقت فالمال لك.

وقيل لسفيان بن عيينة: ما السخاء ؟ قال: السخاء البر بالإخوان والجود بالمال. وقال ورث أبي خمسين ألف درهم فبعث بها حررا إلى إخوانه وقال: قد كنت أسال الله تعالى لإخواني الجنة في صلاتي أفأبخل عليهم بالمال ؟.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٦١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا كما ورد في الدر المنثور ٤/ ٢٣٦ .

(٣) أورده الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٦١ .

(٤) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٨٤٥ .

وقال المهدي لشبيب بن شيبة: كيف رأيت الناس في داري ؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا. وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتى يصاب بها طريق المصنع

فإذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها ... لله أو لذوي القرابة أو دع

فقال عبد الله بن جعفر: إن هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن أمطر المعروف مطراً فإن أصاب الكرام كانوا أهلاً به وإن أصاب اللئام كنت له أصلاً[1].

من حكايات الأسخياء [2]:

عن محمد بن المنكدر عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قالت: إن معاوية بعث إليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما أمست قالت: يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة: ما استطعت في قسمته اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه ؟ فقالت: لو كنت ذكرتني لفعلت.

وعن أبان بن عثمان قال: أراد رجل أن يضار عبيد الله بن عباس فأتى وجوه قريش وقال: يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم. فأتوه حتى ملؤوا عليه الدار فقال: ما هذا؟ فأخبر الخبر فأمر عبيد الله بشراء فاكهة وأمر قوماً فطبخوا وخبزوا وقدمت إليهم فاكهة فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا. فقال عبيد الله لوكلائه: أموجود هذا لنا كل يوم ؟ قالوا: نعم. قال: فليتغد عندنا هؤلاء كل يوم.

وعن واقد بن محمد الواقدي قال: حدثني أبي أنه رفع إلى المأمون رقعة يذكر فيها كثرة دينه وقلة صبره عليه. فوقع المأمون في ظهر الرقعة إنك رجل اجتمع فيك خصلتان: السخاء والحياء فأما السخاء فهو الذي تطلق ما في يديك. وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فإن كنت قد أصبت فازدد في بسط يدك وإن لم تكن أصبت فجنايتك على نفسك وأنت حدثتني وأنت كنت على قضاء.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٨٤٦ .

عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس أن النبي ﷺ قال للزبير بن العوام رضي الله عنه «يا زبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش يبعث الله عز وجل إلى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وأنت أعلم»[1] قال الواقدي: فوالله لمذكرة المأمون إياي بالحديث أحب إلي من الجائزة وهي مائة ألف درهم واجتمع[2] قراء البصرة إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقالوا: لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج ابنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به. فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال: احملوا. فحملوا. فقال ابن عباس: ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر مالا نخدم أولياء الله ففعل وفعلوا

وحكي أنه لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد أميرهم فقال والله لأعلمن الشيطان أني عدوه. فعال محاويجهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تنله صلاته.

وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال: للشاعر والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني إلى القاضي وأدعي علي بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم أحبسني فإن أهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس.

وكان[3] معن بن زائدة عاملا على العراقيين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدام معن. إذا دخل الأمير البستان

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٤/ ٤٦٥ .

(٢) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص ٨٤٦.

(٣) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص ٨٤٧ .

فعرّفني فلما دخل الأمير البستان أعلمه. فكتب الشاعر بيتاً على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فإذا مكتوب عليها:

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي إلى معن سواك شفيع.

فقال: من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له: كيف قلت ؟ فقال له، فأمر له بعشرة بدر فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت البساط فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأها له.

ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج، فلما كان اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يجده فقال معن حق علي ما أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي ولا دينار.

وحكي[1] أن قوماً من العرب جاؤوا إلى قبر بعض أسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد جاؤوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم صاحب القبر في النوم وهو يقول له: هل لك أن تبادل بعيرك بنجيبي ؟ وكان السخي الميت قد خلف نجيباً معروفاً به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له: في النوم نعم فباعه بالنوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فإذا الدم يثج من نحر بعيره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا، فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال: أنا فقال له: هل بعت من فلان بن فلان شيئاً ؟ وذكر الميت صاحب القبر قال: نعم بعت بعيري بنجيبه في النوم فقال: خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول إن كنت ابني فادفع نجيبي إلى فلان بن فلان وسماه.

---

(١) المصدر نفسه.

وقدم[1] رجل من قريش من السفر فمر برجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال: يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له: ما يبكيك لعلك استقللت ما أعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني.

وقال الأعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد أجلس عليه فإذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل إلي علة الشاة أكثر من ثلاثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ وقال عبد الملك بن مروان لأسماء بن خارجة: بلغني عنك خصال فحدثني بها فقال هي من غيري أحسن منها مني. فقال: عزمت عليك إلا حدثتني بها فقال: يا أمير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاماً قط فدعوت عليه قوماً إلا كانوا آمن علي مثلي عليهم. ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئاً فاستكثرت شيئاً أعطيته إياه.

ودخل[2] سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلاً جواداً فإذا لم يجد كتب لمن يسأله صكاً على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال:

إني سمعت مع الصياح منادياً يامن يعين على الفتى المعوان.

ثم قال: ما حاجتك. قال ديني قال: وكم هو. قال: ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله وعن أبي إسحاق قال: صليت العصر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت: لست من أهل هذا المسجد فقالوا: إن الأشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين.

---

(١) إحياء علوم الدين. للغزالي ص٨٤٨.

(٢) المصدر نفسه.

وعن الربيع بن سليمان قال: أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال: يا ربيع أعطه أربعة دنانير واعتذر إليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباؤه في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة يعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء.

وعن أبي ثور قال: أراد الشافعي رضي الله عنه الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من سماحته فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة لك ولولدك. قال: فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها وقد وقف أكثرها ولكن بنيت بمنى مضربا يكون لأصحابنا إذا حجوا أن ينزلوا فيه.

وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول:

أرى نفسي تتوق إلى أمور ... يقصر دون مبلغهن مالي

فنفسي لا تطاوعني ببخل ... ومالي لا يبلغني فعالي

وقال الشيخ[1] أبو سعد الحركوشي النيسابوري رحمه الله سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول: كان بمصر رجل عرف بأنه يجمع للفقراء شيئا فولد لأحدهم مولود قال فجئت إليه وقلت له: ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال: رحمك الله كنت تفعل وتصنع وإني درت اليوم على جماعة فكلفتهم دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء. قال: ثم قام وأخرج ديناراً وقسمه نصفين وناولني نصفه. وقال: هذا دين عليك إلى أن يفتح الله عليك بشيء، قال: فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به. قال: فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال: إني سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لأولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها إلى هذا الرجل. فلما كان من الغد

---

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٨٤٨ ـ المكتبة القيمة.

تقدم إلى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له: اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاؤوا بها فوضعوها بين يديه، فقال: هذا مالكم وليس رؤياي حكم، فقالوا: هو يتسخى ميتا ولا نتسخى نحن أحياء ؟ فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة، قال: فأخذ منها ديناراً فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخر وقال: يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء. فقال أبو سعيد: لا أدري أي هؤلاء أسخى ؟.

وقال الشافعي رحمه الله: لا أزال أحب حماد بن سليمان لشيء بلغني عنه أنه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع إزاره فمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوي زره فقال الخياط: والله لا نزلت فقام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قلتها وأنشد الشافعي رضي الله عنه يقول:

يا لهف قلبي على مال أجود به ... على المقلين من أهل المروءات

إن اعتذاري إذا جاء يسألني ... ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

ودخل[1] أبو تمام على إبراهيم بن المهدي بأبيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدح وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال: عسى أن أقوم من مرض فأكافئه فأقام شهرين فوحشه طول المقام فكتب إليه يقول:

إن حراما قبول مِدحتنا ... وترك ما نرتجي من الصفد

كما الدراهم والدنانير في البيـ ... ـعِ حرام إلا يداً بيد

فلما وصل البيتان إلى إبراهيم قال لحاجبه: كم أقام بالباب ؟ قال: شهرين، قال له: أعطه ثلاثين ألفا وجئني بداوة فكتب إليه:

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا ... قلا ولو أمهلتنا لم نقلل

فخد القليل وكن كأنك لم تقل ... ونقول نحن كأننا لم نفعل

---

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٨٤٩ .

وأتى رجل صديقاً له فدق عليه الباب فقال: ما جاء بك ؟ قال: علي أربعمائة درهم دين. فوزن إليه أربعمائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي فقالت امرأته: لم أعطيته إذ شق عليك ؟ فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتي. فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين.

وروي[1] أن النبي ﷺ كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي. فقال له ﷺ : وما ذنبك، صفه لي ؟ فقال: هو أعظم من أن أصفه لك، فقال: ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون ؟ فقال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: فذنبك أعظم أم الجبال ؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله فقال: ذنبك أعظم أم البحار ؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: فذنبك أعظم أم السماوات ؟ قال: بل ذنبي أعظم، قال: فذنبك أعظم أم العرش ؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: فذنبك أعظم أم الله ؟ قال: بل ذنبي أعظم وأعلى، قال: ويحك فصف لي ذنبك ؟ فقال: يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل يأتيني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار، فقال ﷺ : إليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت ألفي ألف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله في النار ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر بالنار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [محمد:٣٨] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن:١٦].

وفي الآثار[2]:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما خلق الله جنة عدن قال لها: تزيني فتزينت ثم قال لها: أظهري أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٨٥٢.وهو باطل لا أصل له كما قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

(٢) إحياء علوم الدين . للغزالي ص ٨٥٢ المكتبة القيمة.

الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن. ثم قال لها: أظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فأظهرت. فنظر إليها فقال: تكلمي. فقالت: طوبى لمن دخلني. فقال الله تعالى: وعزتي لا أسكنك بخيلاً.

وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز: أف للبخل لو كان البخل قميصاً ما لبسته ولو كان طريقاً ما سلكته.

وقال طلحة بن عبيد الله ﷺ: إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء ولكننا نتصبر. وقال محمد بن المنكدر: كان يقال إذا أراد الله بقوم شرا أمر الله عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم. وقال عبد الله بن عمرو: الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يده.

وقال الشعبي: لا أدري أيهما أبعد غوراً في نار جهنم البخل أو الكذب ؟

وفي الخبر: ورد على أنوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي: تكلم، فقال: خير الناس من ألفي سخياً وعند الغضب وقوراً وفي القول متأنياً وفي الرفعة متواضعاً وعلى كل ذي رحم مشفقاً.

وقال الرومي: من كان بخيلاً ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجاح وأهل الكذب مذمومون وأهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحم عليه.

وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس:٨]: يعني ذلك البخل أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى.

وقال كعب: ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان: اللهم عجل للممسك تلفاً وعجل للمنفق خلفاً.

وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً وقد وصف رجلاً فقال: لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكأنما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه.

من حكايات البخلاء:

أقبل[1] أعرابي يطلب رجلاً وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الأعرابي فقال له الرجل: أتحسن من القرآن شيئا ؟ قال: نعم فقرأ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾ فقال: وأين التين؟ فقال: قال: هو تحت كسائك.

ويحكى أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلاً قبيح البخل فسأل نسيباً له كان يعرفه عنه فقال له قائل: صف لي ما هي مائدته ؟ فقال: هي قتر في قتر وصحافة منقورة من حب الخشخاش، قيل: فمن يحضرها ؟ قال: الكرام الكاتبون، قال: فما يأكل معه أحد ؟ قال: بلى الذباب. فقال: سوءاتك بدت وأنت خاص به وثوبك مخرق، قال: أنا والله ما أقدر على إبرة أخيطها به ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوءاً إبراً ثم جاء جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتها إياهم ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل.

الإيثار:

تحدثنا عن السخاء والبخل وكل واحد منهما ينقسم إلى درجات فأعلى درجات السخاء الإيثار: وهو أن يجود بالمال مع الحاجة وإنما السخاء هو عبارة عن بذل ما لا يحتاج إليه لمحتاج أو لغير محتاج والبذل مع الحاجة أشد وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة. والبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لأكلها فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة. وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين.

فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء وقد أثنى الله على الصحابة ﷺ فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. وقال النبي: «أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له»[2].

---

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٨٥٣ .

(٢) أخرجه ابن حبان في المجروحين ٢/ ٧٦ ، وابن عدي في الكامل ٥/ ١٢٦ .

وقالت عائشة ﵂: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا.

ونزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع الطعام بين يديه وأمر امرأته بإطفاء السراج وجعل يمد يده إلى الطعام وكأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف، فلما أصبح قال رسول الله ﷺ: «لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم» ونزلت الآية ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩][1].

فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى والإيثار أعلى درجات السخاء وكان ذلك من أدب رسول الله ﷺ حتى سماه الله تعالى عظيماً فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤].

وقال سهل بن عبد الله التستري: قال موسى عليه السلام يا رب أرني بعض درجات محمد ﷺ وأمته ؟ فقال: يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي. قال[2] فكشف له عن ملكوت السماوات فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال: رب بما بلغت به إلى هذه الكرامة ؟ قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الإيثار، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا استحيت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء.

وقال عمر ﵁: أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال إن أخي كان أحوج مني إليه فبعث به إليه فلم يزل يبعث به إلى الآخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع إلى الأول.

وبات علي كرم الله وجهه على فراش النبي ﷺ فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر

---

(١) والحديث أخرجه البخاري (٣٧٩٨).

(٢) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٨٥٤ المكتبة القيمة.

فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة. فاختارا كلاهما الحياة وأحياها فأوحى الله عز وجل إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين النبي محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة ؟ اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه. فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وعن[١] أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفساً وكانوا في قرية قرب الري ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فإذا الطعام على حاله ولم يأكل أحد منه شيئا إيثاراً لصاحبه على نفسه.

وروي أن شعبة جاءه سائل ليس عنده شيء فنزع خشبه من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه.

وقال حذيفه العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فإذا أنا به فقلت أسقيك فأشار إلي أن نعم فإذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي لي أن انطلق إليه فجئته فإذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع به آخر فقال: فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين.

وقال عباس بن دهقان ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلابشر بن الحارث فأتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه واستعار ثوبا فمات فيه.

وعن[٢]بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع عالٍ فقعدنا. فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرون

---

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص ٨٥٥ ـ المكتبة القيمة.

(٢) المصدر نفسه.

كلباً فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة وبقي العظم ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلاً ثم انصرف.

وعليه مما يتقدم في قواعد العرف والشرع فإن البخل يعتبر من المهلكات والسخاء يعتبر من المنجيات ولكن ما هو حد البخل وبماذا يصبح الإنسان بخيلاً وما من إنسان إلا ويعتبر نفسه سخياً ويرى غيره بخيلاً. وقد يتصرف إنسان ما في فعل معين فيقول ناس هذا بخيل ويقول الآخرون ليس بخل. ولا يوجد إنسان إلا يوجد في نفسه حب للمال ولأجله يحفظ المال ويمسكه فإن كان بصيراً بإمساك المال بخيلاً فلا ينفك أحد من البخل. ولو كان الإمساك مطلقاً لا يوجبه البخل إذاً فما البخل الذي يوجب الهلاك. وما هو حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوه وثوابها. فقول القائلين حد البخل هو منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه ليس بخيل والبعض يعتبر هذا ليس كافياً: أن من يرد اللحم إلى القصاب أو الخبز إلى الخباز لنقصان حبه أو نصف حبه فإنه يعد بخيلاً بالإجماع. وأن من يضايق عياله بالعيش أو في لقمة ازدادوها عليه يعتبر بخيلاً ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه يعتبر بخيلاً.

وقال البعض: إن البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضاً فاجر فإنه أريد به أن يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب مما فوق ذلك ؟ وإن أريد أن يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا ؟ وهو ما يستفرق جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب البخل.

والجود قيل عنه هو إعطاء بلا من وإسعاف من غير رؤية وقال آخرون الجود عطاء من غير سؤال على روية التقليل.

وقال البعض الجود هو السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقال آخرون الجود عطاء على رؤية المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر. وقال: من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء.

ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود. ومن قاسى الضر وآثر غيره فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل.

كما روي[1] عن بعض المتعبدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلي عما شئت وأشير إلى حبان ابن هلال فقالت: ما السخاء عندكم ؟ قالوا العطاء والبذل والإيثار. قالت: هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين ؟ قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة، قالت: تزيدون على ذلك أجراً ؟ قالوا: نعم، قالت: ولم ؟ قالوا: لأن الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها. قالت: سبحان الله فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتم عليه ؟ قالوا لها: فما السخاء عندك يرحمك الله ؟ قالت: السخاء عندي أن تعبدوا الله متلذذين متنعمين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجراً حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً بشيء ؟ إن هذا في الدنيا لقبيح .

وقالت بعض المتعبدات: أتحسبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط ؟ قيل: ففيم ؟ قالت: السخاء عندي في المهج. وقال المحاسبي: إن السخاء في الدين أن تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه ولا تريد بذلك ثواباً عاجلاً ولا آجلاً وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله. حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختار لنفسك.

ورغم ما تقدم من كلام يعتبر غير محيط بحقيقة الجود والبخل. بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الناس. حيث يمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف عليه. ويمكن بذله للصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل. وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل. فالإمساك حيث

---

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص٨٥٧ .

يجب البذل بخل. والإنفاق حيث يجب الإمساك تبذير وما بينهما وسط وهو المحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول اللهﷺ إلا بالسخاء وقد قيل لـــه ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإســـراء: ٢٩] وقـــال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. فالجود وسط بين الإقتار والإسراف وبين البسط والقبض وهو يستطيع بذله وإمساكه بقدر الحالة والواجب ولا يكفي أن يفعل ذلك بالجوارح مالم يكن القلب طيباً به غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصبرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه.

أقوال بعض العلماء في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر :

والبعض يرى[1] أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير الخوض في تفصيل الأحوال ونذكر هنا بعض ما ذكره في هذا المجال من قبل الحارث المحاسبيرضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم. ويعتبر المحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير أن يذكر على وجهه. وقد قال بعد كلام له للرد على علماء السوء «بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون مالا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنفقوا جلودكم وقلوبكم دنسه. بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته ؟ بحق أقول لكم إن

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي المكتبة القيمة.

قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة، فأي الناس أخسر منكم لو تعلمون ؟ ويلكم حتام تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلاً مهلاً ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم إن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشه متعطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أنقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم من أصوله فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوأتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم) ثم قال الحارث رحمه الله: إخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله.

وأما فيما يخص عبد الرحمن بن عوف ﷺ وما ذكر عن ثروته أنه قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة ﷺ: ما هذا ؟ قيل: عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف، قالت: صدق رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فسألها. فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم أر أحداً من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخل معهم حبواً»[1] فقال عبد الرحمن: إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاءها أحرار لعلي أدخل معهم سعيًا.

بلغنا أن النبي ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف «أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت أن تدخلها إلا حبواً»[2].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٤) ولفظه: «رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً».

(٢) أخرجه البزار من حديث أنس بسند ضعيف.كما في القول المسدد ١/ ٢٤ .

حمل[1] إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهرلم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً فقال لبعض الحكماء عنده: كيف ترى هذا ؟ قال: أراه مصيبة أو فقراً، قال: كيف ؟ قال: إن كسر كان مصيبة لا جبر لها. وإن سرق صرت فقيراً إليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر. ثم اتفق يوماً أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا. وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة لأعداء الله تسوقهم إلى النار، وعدوة أولياء الله إذ تغمهم بالصبر عنها، وعدوة الله إذ تقطع طريقه على عباده. وعدوة نفسها، فإن المال لا يحفظ إلا بالخزائن والحراس. والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير. فالمال يأكل نفسه، ويضاد ذاته حتى يفنى، ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ إلا بقدر حاجته، ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل. لأن ما أمسكه لحاجته فليس يبخل، ولا يحتاج إليه، فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله، بل هو كالماء على شط النهر إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة.

---

(١) إحياء علوم الدين ـ لأبي حامد الغزالي ص٨٥٩ ـ طبعة المكتبة القيمة.